مجلة شهرية

Issue No: 192 :عدد

August 2023 شهر آب

نـــــور يسوع المسيح المسيـــــح

Φ Ω Σ الرب يسوع المسيح ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

رقاد والدة الإله الدائمة البتولية مريم وانتقالها إلى السماء

دير پروسيوتيسا

في اليونان

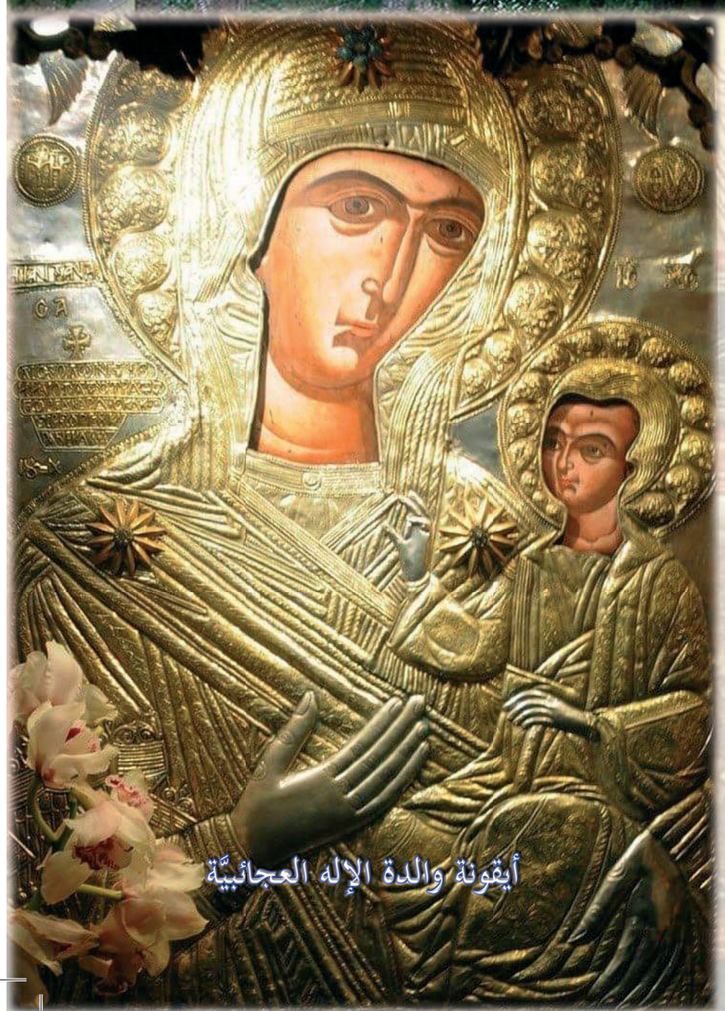

أيقونة والدة الإله العجائبيّة

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد رقاد والدة الإله الدائمة البتوليَّةِ مريم

(١٥ آب شرقي، ٢٨ آب غربي ٢٠٢٠)

«أيَّتُها البتول الطّاهرة إنَّ حدودَ الطبيعة قد غُلِبَت فيكِ، لأنَّ المَوْلِدَ بتوليٌّ والموتَ قد صارَ عربونًا للحياةِ. فيا من هي بعدَ الولادةِ بتول وبعدَ الموتِ حيَّة، يا والدةَ الإله أنتِ تُخلِّصين ميراثك دائمًا.» هذا ما يقولهُ ناظم تسابيح الكنيسة.

أيُّها الإخوة المحبوبون بالمسيح.

أيها الزُّوار المسيحيُّون والمؤمنون الأتقياء،

إنَّ **سيِّدتنا والدة الإله العذراء مريم** والتي هي وحدها في الحقيقة وَسِعَتْ في أحشائها **كلمة الله** الفائق الجوهر بحالٍ يَسمُوْ على العقلِ ويفوق الأدراك. قد جمعتنا اليوم في هذا المكان والموضع المقدس عند قبرها، لكي نحن والذين اجتمعوا من كافة أقاصي المسكونة التأمنا ذهنيًّا مع الرُّسل القدِّيسين مُكَرِّمين **عيد رقادها المقدس**.

يرنم **داود النبي** قائلًا: «قد قيلت فيكِ المُسَبَّحاتُ يا مدينة الله» (مز86: 3). كيف نفهمُ إذًا مدينة الله غير المنظورة والتي لا تُدْرَك، الله لذي يحوي في قبضتهِ الكُلَّ.

ويتساءَل **القديس يوحنا الدمشقي** قائلا: «**إنْ لم تكُن تلك التي وسعت في أحشائها كلمة الله ربِّنا يسوع المسيح الفائق الجوهر بحالٍ يَسمُو على العقل ويفوق الإدراك؟ تلك التي لأجلها قيلت كلمات مجيدة من قبل الرَّبِّ نفسهِ، لأنَّهُ ما هو أكثر مجدًا، من أنْ نقبل مَقَاصِدَ الله مُنْذُ الْقَدِيمِ** «التي هي» «أَمَانَةٌ وَصِدْقٌ.» (إشعياء 25: 1).

في **شخص العذراء مريم والدة الإله** غُلِبَتْ نواميس الطَّبيعة كما يقول المرتل: «أيَّتها البتول الطَّاهرة إنَّ حدودَ الطبيعة قد غُلِبَت فيكِ، لأنَّ المولدَ بتوليٌّ والموتَ قد صارَ عربونا للحياةِ». فكما أنَّ الحبل هو **بالرُّوح القُدُس** كذلك تجسُّد **المسيح كلمة الله من دماء النقيَّة العذراء مريم**، «فالحمل **بالمسيح** وتجسُّدُهُ» يُشَكِّلان تجاوز حدود الطبيعة. ويقول **القديس مكسيميوس المعترف**: «**أنَّ العذراء مريم ولدت كلمة الله بما يَسمُو على الطبيعة، وللبرهانِ بقيت بتوليتها سالمة.**»

عند **رقاد والدة الإله** غُلبت فيها نواميس الطبيعة كما يقول **المرتل القديس قزما**: «إنَّ الله مَلِكَ الكُلّ قد منحكِ «يا عذراء» ما يَسمُو على الطبيعة. فإنه كما صانكِ في الولادة بِكْرًا عذراء. كذلك حفظ جسدك في القبر غير بالٍ. وأَشْرَكَكِ في مجدهِ بنقلكِ الإلهيّ. واهبًا إيَّاكِ جائزة احترام الابن لأمهِ.»

ويقف **القديس يوحنا الدمشقي** منذهلًا أمام سِرِّ موت **ينبوع الحياة أي والدة الإله** قائلًا: «حسنًا،كيف سندعو هذا السِّر المتعلِّق بكِ؟ أموتٌ هو؟» ولكن، إذا ما كانت نفسك الفائقة القداسة والطوبى قد انفصلت عن جسدك المبارك والبريء من العيب كما تريد الطبيعة، وإذا ما أُسلم هذا الجسد إلى القبر بحسب الناموس المشترك، فهو مع ذلك لم يمكث في الموت ولم يحلَّه الفساد. فتلك التي بقيت بتوليتها سليمة في الولادة، حُفظ جسدها دون انحلال عند انطلاقها من هذه الحياة، ووُضع في مسكن أفضل وأكثر تألُّهًا، في منجى من الموت، فيقدر على البقاء إلى الدهور التي لا نهاية لها.»

لهذا فإنَّ **الفائقة القداسة العذراء مريم** بحسب القديس يوحنا الدمشقي: «هي حصن الكنائس وهي أيضًا أُمَّ جميع كنائس المسكونة، فكما يُعلِّم عنها القديس يوحنا الدمشقي أيضًا قائلًا: فهي ليست كإيليا النبي الذي أُصْعِدَ نحو السماوات، وليست كالرسول بولس الذي اختُطف إلى السماء الثالثة، لكنها تقدمت إلى ملكوت سماوات ابنها شاهدة عيانٍ ومبتهجةً، ومع كثيرين تتشفَّع بنا دومًا دون انقطاع.»

حقًّا أيُّها الإخوة الأحبة إنَّ هذا الحدث؛ أي أنَّ **الفائقة القداسة** شاهدة عيانٍ ومبتهجةٌ، ومع كثيرين تتشفَّع بنا دومًا دون انقطاع، قد أوضح أنَّ **العذراء والدة الإله الفائقة القداسة** ملجأٌ وعونٌ وسترٌ وحمايةٌ لجميع الذين يُوَقِّرونها، ويسجدون لها بعد الله كما يقول المرنم: «خلصي عبيدك من الخطوب يا والدة الإله، لأنَّنا كلَّنا إليك بعد الله نلتجئ، كما إلى سورٍ لا يَنْصَدِعُ وحمىً أمين.»

فنحن المُعَيِّدين والمبتهجين اليوم في هذا المكان والموضع المقدس عند قبر أم الله في موضع الجسمانيَّة سامعين لأبي الكنيسة المتوشح

بالله القديس يوحنا الدمشقي مادحًا **والدة الإله** ومعه نهتف قائلين: «ولِنَظْفُرَنَّ في الرُّوحِ مع داود لأنَّ تابوت الرَّبِّ (العذراء مريم) تدخل اليوم في راحتها؛ ولِنَهْتِفَنَّ مع جبرائيل رئيس الملائكة قائلين: افرحي يا ممتلئة نعمة، الرَّبُّ معك! افرحي يا محيط الفرح الذي لا ينضب! افرحي أيتها العلاج الوحيد القادر على طرد الكآبة! افرحي يا مرهمًا يُسَكِّنُ أَلَمَ القلوب كافةً! افرحي يا مَنْ بها طُرِدَ الموت ودخلَتِ الحياة! **بالمسيح إلهنا الذي له العزة والملك والقدرة والمجد مع أبيه الذي لا بدء له، وروحه الكلي قدسه الصالح والصانع الحياة الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.**

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

رُقاد والدة الإله الكُلِّيَّةِ القداسة والدَّائمةِ البتوليَّةِ مريمَ

للقديس يوحنا كرونشتادت

لنفرح أيُّهَا الإخوة والأخوات المحبوبون **لأنَّنا ننتمي إلى الكنيسة الأرثوذكسيَّة المقدسة**، وَلنمجِّدْ بحقٍ **والدة الإله الفائقة القداسة** في هذا اليوم البارز بين كُلِّ أيام السنة بوقارٍ خاص. هناك على الأرض العديد من المجتمعات والبلدان التي بأكملها لا تراعي الحاجة أو الالتزام بالدَّعوةِ وتمجيد **مَلِكَةِ السَّماء والأرض**، **والدة ربنا الإله يسوع المسيح**، **والقديسين والملائكة**؛ ولا تكرّمها بطاعة ومحبة، لكونها والدة الله الحقيقيَّة. للأسف، بيننا في روسيا في هذه الأيام هراطقة يحقِّرون بنشاطٍ والدة الإله والقديسين وأيقوناتهم ورفاتهم وأعيادهم. حبّذا لو أنهم باتِّفاق الآراء معنا **يمجِّدون ملكة السماء والأرض الشريفة!**

اليوم الكنيسة المقدسة تُمجِّدُ احتفاليًّا **رقاد والدة الإله** أو انتقالها من الأرض إلى السماء. يا لَلِانتقال الرَّائع: رقدت بسلام من دون مرض مستفحِل. رُفِعَت روحها بين يدي ابنها الإلهيتين وحُمِلَت إلى المسكن السَّماوي، مصحوبة بإنشاد الملائكة العذب. وبعد ذلك، نَقَل الرُّسل جسدها الفائق النقاوةِ إلى جثسيماني حيث دُفن بشرفٍ، وفي اليوم الثالث أُقيم وأُصعِد إلى الملكوت. ترَون هذا في أيقونة **رقاد والدة الإله**، إذ يظهر **جسد والدة الإله الحامل الحياة** ممدَّدًا على نعش، محاطًا بالرُّسل ورؤساء الكنيسة، وفي وسط الأيقونة يظهر **الرَّبّ** حاملًا بين يديه روح والدة الإله الفائقة النقاوة. إنَّ انتقال والدة الإله هو نموذج لانتقال أرواح المسيحيِّين إلى العالم الآخر بشكلٍ عام.

نحن نقول إنَّ موتانا قد «رقدوا» أو «انتقلوا». ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أنَّهُ لا يوجد موت بالنسبة للمسيحيِّ الحقيقيِّ. **غَلَبَ المسيح الموت على الصليب**. لكنْ هناك انتقال، أي إعادة ترتيب لوضع الإنسان، أي أنَّ روحه في مكان آخر، في زمنٍ آخر، في عالمٍ آخر وراء القبر، أبديٍّ بلا نهاية، هذا هو المقصود بـ «الرقاد». يبدو الأمر كما لو كان حُلمًا مؤقتًا، وبعد ذلك، وبصوت **الرَّبِّ** وبوق رئيس الملائكة الرَّهيب والرَّائع، يقوم جميع الأموات ويتقدَّمون كل واحدٍ إلى مكانه: إمَّا إلى قيامة الحياة أو إلى قيامة الدينونة (يوحنا ٥:٢٩). هذا ما يعنيه المسيحيّ بالانتقال. يجب أنْ نكون مستعدِّين لهذا الانتقال، ليوم القيامة العامة والدينونة، لهذا الحَدَث الكوني الفائق الوصفِ، والمدوَّن في الكتاب المقدس.

هذا التحضير للقاء الملك السَّماوي أمام كرسي الدينونة المخيف، بعد الموت، هو في الأساس **استعداد الشَّخص طوال حياته**. هذا التحضير يعني التغيير في كُلِّ أفكاره، التغيير الأخلاقي لكل كيانه، بحيث يكون الإنسان كُلُّهُ نقيًّا وأبيض كالثَّلج، غاسلًا كُلَّ ما يُفسد الجسد والرُّوح، متزيِّنًا بكل فضيلةٍ: التوبة والوداعة والتواضع واللطف، والبساطة والعفَّة والرَّحمة والإمساك والتأمل الرُّوحي، والمحبة القوية لله والقريب.

إنَّ استعدادنا للقاء الملك السَّماوي، وميراث الحياة الأبديَّة في السماء، يجب أنْ يقوم على هذه الأمور. يشتهي الملك السماوي نفوسًا مُزيَّنة بفضيلةٍ ثابتة، أرواحًا مُهيَّأة ليُقيمَ فيها **الرَّبُّ** نفسه. لا تتعجبوا من أنَّ **الرَّبَّ** نفسه يريد أنْ يسكن فينا. والحقيقة أنَّ النفس البشريَّة هي أكثر اتساعًا من السماء والأرض، لأنها قائمة على صورة الله. وإذا أزال المرء الخطايا من الرُّوح، فإنَّ **ربَّ الكُلِّ** يستقرُّ فيها ويملؤها بنفسه. يقول **الرَّبُّ** عن النفوس التي تحبه: «إِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا» (يوحنا ١٤:٢٣).

إذًا أيُّها المحتفلون بالأعياد المسيحيَّة، ولا سيِّما العيد الحالي، **عيد رقاد والدة الإله**، يا مَن تزيَّنوا بإشراقٍ بكُلِّ فضيلة، وانتقلوا إلى الملكوت السَّماوي، إلى ابنها **وإلهها**، نادوا الجميع إلى تهيئةِ نفوسهم لتكون مسكنًا **للرَّبِّ**، نادوا بالتوبة المستمرة وزينة الفضيلة المسيحيَّة التي لا تفسُد. اعملوا على أن تكون أواخر حياتكم أيضًا سلاميَّة بلا خزي، وجوابًا حسنًا لدى منبر **المسيح** المرهوب. آمين.

التجلِّي والنُّور غير المخلوق

الأرشمندريت جيوارجيوس رئيس دير غريغوريوس في جبل آثوس

في **كنيسة المسيح الأرثوذكسيَّة**، يُحقِّق الإنسان التَّأَلُّهَ لأنَّ نعمة الله، بحسب تعليم الكتاب المقدس وآباء الكنيسة، غير مخلوقة. الله ليس جوهرًا وحسب، **كما يؤمن الغربيُّون**، بل هو قوَّةٌ أيضًا. لو كان الله جوهرًا فقط، لما كُنَّا نستطيع أنْ نَنضمَّ إليه وأنْ نشترك به، لأنَّ جوهر الله مهيب وغير مدرَك من الإنسان، بحسب القول الكتابي: «لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ» (خروج ٣٣:٢٠).

فلنُشِر هنا إلى بعض الأمثلة المتعلِّقة بالبشرِ. إذا لمسنا سلكًا كَهْرُبائيًّا غير مُغَطًّى **نموت**. من ناحية ثانية، إذا وصَّلنا إلى السلك مصباحًا نستنير. نحن نرى قوَّة التَّيار الكهربائي ونتمتَّع بها وتساعدنا، بينما لا نستطيع أنْ نمسك جوهره. ما يجري مع النعمة الإلهيَّة مماثلٌ إذا جاز التعبير. إذا استطعنا أنْ نتَّصل بجوهر الله، نصير بالجوهر آلهة، أي أنَّ كُلَّ شيء ممكن أنْ يصير إلهًا، وسوف يكون هناك تَشوُّش مما يؤدي على ألَّا يكون هناك أي إله بالجوهر. إنَّ ما تُؤمن به **الأديان الشرقية، كالهندوسية مثلاً**: «هو أن الإله غير موجود بشكل شخصي بل هو قوَّة غامضة منتشرة في كُلِّ الكون، في البشرِ كما في الحيوانات والمواد».

أيضًا، لو لم يكن للهِ سوى جوهرٍ إلهيٍّ غير قابل للشركةِ لبقي إلهًا مكتفيًا بذاته مُغلِقًا على نفسه دون أنْ يشترك مع خليقَتِهِ. بهذه القوى غير المخلوقة خلق الله العالم ويستمر في الاهتمام به. إنَّهُ يعطي عالمنا الجوهر والوجود بِقواهُ التي تخلق الجوهر. إنَّهُ موجود في الطبيعة ويؤازر الكون بقواه المؤازرة. إنَّهُ ينير الإنسان بقواه المنيرة. إنَّهُ يقدّس بقواه المقدّسة. وفي الختام إنَّهُ يجعل نفسه إلهًا بقواه الإلهيَّة. بقواه غير المخلوقة يَدْخُل الله الطبيعةَ، العالم، التاريخ، وحياة الناس.

إنَّ قوى الله مقدّسة. إنها الله من دون جوهره. إنها الله ولهذا هي تجعل الإنسان إلهًا . لو لم تكن قوى الله مقدّسة وغير مخلوقة لما كانت الله، ولا كانت قادرة على جعلنا آلهة، ولا على ضمّنا إلى الله. من دونها تكون المسافة بين الله والناس غير قابلة للردم. لهذا، بامتلاك الله لقوى إلهيَّة وضمّنا إلى هذه القوى، يمكننا أن نتّصل **بالله**، وننضمَّ إلى نعمته، من دون أنْ نتساوى به، كما لو كُنَّا ننضمُّ إلى جوهرِه. لهذا، نحن ننضمّ إلى الله من خلال قواه غير المخلوقة وليس من خلال جوهره. هذه هو **سرّ الإيمان الأرثوذكسيّ** وسرّ حياتنا.

هذا ما لا يمكن **للاعتقاد الخاطئ الغربي** أن يقبله، لأنَّ **الغربيِّين** عقلانيون لا يستطيعون أن يميّزوا بين جوهر الله وقواه، وبالتالي يعتقدون **بأنَّ الله جوهر فقط**. لهذا السبب لا يستطيعون أن يتحدّثوا عن تَألُّه الإنسان. كيف يقبلون أنَّ الإنسان يصير إلهًا إذا كانوا لا يقبلون أنَّ قوى الله غير مخلوقة، بل يقولون **بأنها مخلوقة**؟ كيف يستطيع ما هو مخلوق أن يجعل الإنسان المخلوق إلهًا ؟

جرى في **القرن الرابع عشر** اضطراب كبير في الكنيسة [الأرثوذكسيَّة] **حرّض عليه راهب غربي اسمه برلعام**. لقد سَمِعَ أنَّ الأثوسيين (رُهبان جبل آثوس) يتحدّثون عن التَّأَلُّهِ، وعرف أنَّهم يصيرون مستحقِّين، بعد جهادٍ كبير، لأنْ يُطهِّروا أنفسهم من الأهواءِ، وبالصَّلوات الكثيرة ينضمّون إلى الله لكي يكتبوا خبرة الله ويعاينوه. لقد سمع أنَّهم يرون النور غير المخلوق الذي رآه الرسل عند تجلِّي **الرَّبّ** على طور ثابور. مع هذا، **كون برلعام من أصحاب الروح العقلانيَّة الغربيَّة**، لم يتمكن من إدراك الخِبرات الحقيقيَّة الإلهيَّة التي كانت لهؤلاء الرهبان المتواضعين، فراح يتَّهمهم بالخداع والهرطقة والوثنيَّة. فكان يقول، على سبيل المثال، إنَّهُ من المستحيل أنْ يرى الإنسان نعمة الله، لأنَّهُ لم يكن يعرف الفرق بين الجوهر وقوى الله غير المخلوقة. من ثمّ جلبت نعمة الله معلمًا للكنيسة مستنيرًا هو **الآثوسي القديس غريغوريوس بالاماس**، رئيس أساقفة تسالونيكي. بحكمة عظيمة واستنارة من الله، كما بخبرة شخصيَّة، قال وكتب الكثير وعلَّم بحسب الكتاب المقدّس وتقليد الكنيسة المقدَّس، بأنَّ نور نعمة الله غير المخلوق هو قوة إلهيَّة. كما علَّم أنَّ الذين يرون هذا النُّور حقًّا وحقيقةً يصيرون إلهيِّين بالنعمة لكون هذه الرؤيا هي الخبرة الأسمى والأرفع للتَّأَلُّهِ ومعاينة نور الله. هذا هو مجد الله، بهاؤه، نور ثابور، نور **قيامة المسيح** والعنصرة والسحابة المنيرة التي في العهد القديم. نور الله غير المخلوق حقيقي وليس رمزيًّا **كما ادَّعى برلعام وغيره من أصحاب الإيمان الخاطئ**.

استمرارًا لهذا، كُلُّ الكنيسة، من خلال ثلاث مجامع عظيمة عُقدَت في القسطنطينيَّة، أثبتت أهليَّة **القديس غريغوريوس بالاماس** وأعلنت أنَّ

الحياة في المسيح ليست بمجرد تهذيب الإنسان بل بِتَأَلُّهِهِ، الذي يعني الاشتراك بمجدِ الله ومعاينته ونعمته ونوره غير المخلوق.

إلى اليوم ما زال الغربيُّون يعتبرون النعمة الإلهيَّة، **قوَّة الله**، مخلوقة. **للأسف**، هذه إحدى الفروق الكثيرة التي ينبغي حملها على محمل الجِدِّ في الحوار اللاهوتي مع الكثلكة. الفرق الأساسي بين **الكنيسة الأرثوذكسيَّة** والبابويين ليس «الفيليوكفيه – إنبثاق الروح القُدُس» وحدها، ولا أوَّليَّة البابا وعصمته. إنَّهُ أيضًا ما سبق ذكره. لا نستطيع أنْ ننضمَّ إلى الكاثوليك إنْ لم يقبلوا أنَّ نعمة الله غير مخلوقة، حتى ولو قبلوا كُلَّ شيء آخر. مَن سوف يُفعِّل التَّأَلُّهَ إذا كانت النعمة الإلهيَّة وقوَّة الرُّوح القُدُس **مخلوقتين؟** ■

ربِّي ٱمنحني أنْ أمكثَ معك لكي أستقرَّ وأستريح فيك. لكي أطمئنَّ إلى وجودي بك، لكي تقودني لآتي إليك. ساعدني لأُثَبِّتَ قدميَّ على صخرتك. امكثْ معي ونجِّني من المخاطر التي تحيق بي لأنِّي اعتمدتُ على اسمك. فأنا غريبٌ في هذه الحياة، ضيفٌ عابرٌ يمرُّ، لا مبيت له. فاجعلْ لي من ثروتك عونًا لي في السَّفرِ لئلَّا أتعوَّق عن الوصول إليك. جَدِّد قواي لأُكمِّل طريقي نحوك.

دَعْوَتَي فها أنا أتوسَّلُ إليك، خُذني إلى ما وعدتني به. أَنعِشْ فيَّ شوق العودةِ إليك، لأنَّ زمن حياتي سِبَاقٌ إلى الموتِ يُلاحقني. فامنحني أنْ أسيرَ على خُطاك أتَّبعك حيث تسير، فأعود إلى نفسي ولا أتخبَّط في ظُلماتي. لأنَّ أيامي مَلْأَى بالتعبِ والعرقِ والفسادِ. كوَّنتها بجساراتي حين تَخَلَّيْتُ عنك، قَبِلْتُ ظلمات الجهل وقيود الموت، أنتظر شروق نورك عليَّ لأعودَ عن ضَلالي.

فابْسط إليَّ ذراعك وَشُدَّني صوبك، وانتقمْ لي من خطاياي، دافع عني أمام خصمي حتّى أتحرَّر من الأفكار الشَّريرة وأظْفَر على عَدُوِّي وأرتاح من سِهامِهِ الملتهبة ضِدِّي. فتختم آثار جراحي لأني رزحت تحت وطأة الاثم، شَوَّهْتُ نفسي وبعتها إلى الإثم، وقبضتُ ثمنها لذَّةً عابرة وموتًا أكيدًا وحياةً دَنِسَة.

لذلك أريدك أنْ تُحرِّرني من أسري، وتمنحني ما أسألك: كُنْ حياتي! أَطِلْ أناتَك ورحمتَك عليَّ فأطمئنَّ. استدركْ حياتي بنظرةٍ منك، لأنَّ في نفسي ألمًا يُعذِّبني ويقضُّ عليَّ مضجعي. فكيف آتي إليك؟ أو كيف أدعوك إليَّ؟

أتوسَّل إليك لأني عاجزٌ عن أنْ أنزع من قلبي ما يمنعك. فكيف لي أن أدعوك لكي تدخل؟ شيئًا سألتك راجيًا أنْ أناله منك. أللهُمَّ اذكُرني بحسب رحمتك. أتمنَّى أنْ تأتيني حسب وَعْدِكَ. لأني سأعتذر لِمَن جبلَني ونسيتُه، ولِمَن مات عنِّي ولم أسمع له. أيُّ عذابٍ أستحق، أو كيف ستكون مراحمه عليَّ، إنْ لم أتُب. إني أعرف أنك طبيبي لأنَّهُ ليس فيَّ عافية رجوتك فاشفِني. اترُكْ لي ديوني. رحمتك ضروريَّة لي. لقد هربتُ وها أنا أعود باحثًا بعد أن خرجتُ من سجن الموت. أبحثُ لكي تعفيني.

صغيرٌ أنا. فاسترني بظلِّ جناحَيْكَ، لأني قلقٌ من همِّ خطيئتي. فكيف سأذهب إلى النار بدونك، كيف سأحتمل إن لم تكن حمايتي؟ لأنَّك بذاتك صرتَ لي طريقَ خلاص أسافر عليه وأسلكه فلا أضلُّ، ولا أعثر ولا أقع. بَلِ ٱفتحْ لي بابك الذي أَوْصَدَّتُه بوجهي لسوءِ أخلاقي، حتى تبعُدَ عني متاعب الحياة، وتخفِّفها وتُودي بي إلى الخلاصِ والحياةِ. لأنِّي كنت تائهًا أبحث عنك بعيدًا عنك. فانزع عنِّي ما تشاء ولا تتخلَّ عني. كُنْ ميراثي فإنِّي بحاجةٍ إليك. لأنِّي في أرضِ الأمواتِ وأنا راحلٌ عنها لا أعرف إلى أين أرحل، كيف أتوجَّه، أخشى أنْ أتوهَ وألَّا أجدَ ملجأً أعود إليه، لأنَّ بيتي سقط خرابًا في غِيابِكَ.

أَكلْتُ خبزَ الدُّموع لفقدانك وصارت نفسي في اليُبوسَةِ والجفافِ قاحلةً أمامك. فَتَعَثَّرْتُ في سيري وتأخرتُ في الوصولِ، وجنحتُ نحو هاويَةٍ سحيقَةٍ. فَفَاتَني مجدك ولم أستطع أنْ ألتَقِيَ بِكَ. حُرِمْتُ عونك ومساعدتك. فخسرتُ كُلَّ ما ٱقْتَنَيْتُهُ منك، خسرتُ صداقَتَكَ، واعتدتُ الخطأَ ودُفِنتُ في أغلالِ عادَتِهِ.

فكم من حواجزَ تمنعني من المثولِ أمامك؟ لم أَجِدْ راحةً في غيابِكَ. هل ستفوز عيناي بِعُذوبَةِ تأمُّلِ سعادتك، لأنِّي أجهل ما ستكون نهايتي. هل سأفوزُ بالجلوسِ بقربك وتقبيل قَدَمَيْ إلهي، والتخلُّصِ من عبءِ الماضي لأنَّ القَلَقَ الدَّائِم يُلازمني والغَصَّةُ لا تُفَارقني لأنِّي محرومٌ من قُرْبِكَ.

فٱمنحْ السلامَ للسَّائِلِ المتضرِّعِ الجريحِ القلبِ بالإثمِ. يحملني شوقي للخلاصِ إلى أنْ أدعوك. أُنظر إنَّ جهلي يقفُ عثرةً في طريقي، فاعتنِ بي، لأنِّي اسيرُ عاريًا في هذه الطريق، مريضٌ أبكي وأنتحبُ لأنِّي أبحثُ عن الحياة الحقيقيَّةِ التي فيكَ ومنكَ، وأتألَّمُ من غُربتي. أُحاولُ أنْ أَجُدَّ السَّعْيَ للوصولِ إلى الوطنِ هربًا من منفاي.

رجوتك ربِّي أنا الواقف ببابكَ، الفقير المسْتَعطي أَنِ ٱفتحْ لي. دعني أَمُرُّ في هذا الطريق الموصِل إلى الحياةِ الأبديَّةِ. دعني أعبرُ ولو بقربِكَ فأشعرُ بوجودِكَ، لأنِّي تَعِبٌ. أشهد رحيلَك أبحث عن الطريق التي سلكتَ وأحصي خطواتك في سفركَ. أحاول أن أتبعك لتُحيِي الأملَ في داخلي، في أعماقي، وفي كياني.

هبْني ألَّا أخشى بعد اليوم رحيلَك، بل أنْ يكون حضورك دائمًا في داخلي. **رجائي بِكُلِّيَّتِهِ قائمٌ على رحمتِكَ الواسعة.**

لك المجد يا إلهي.

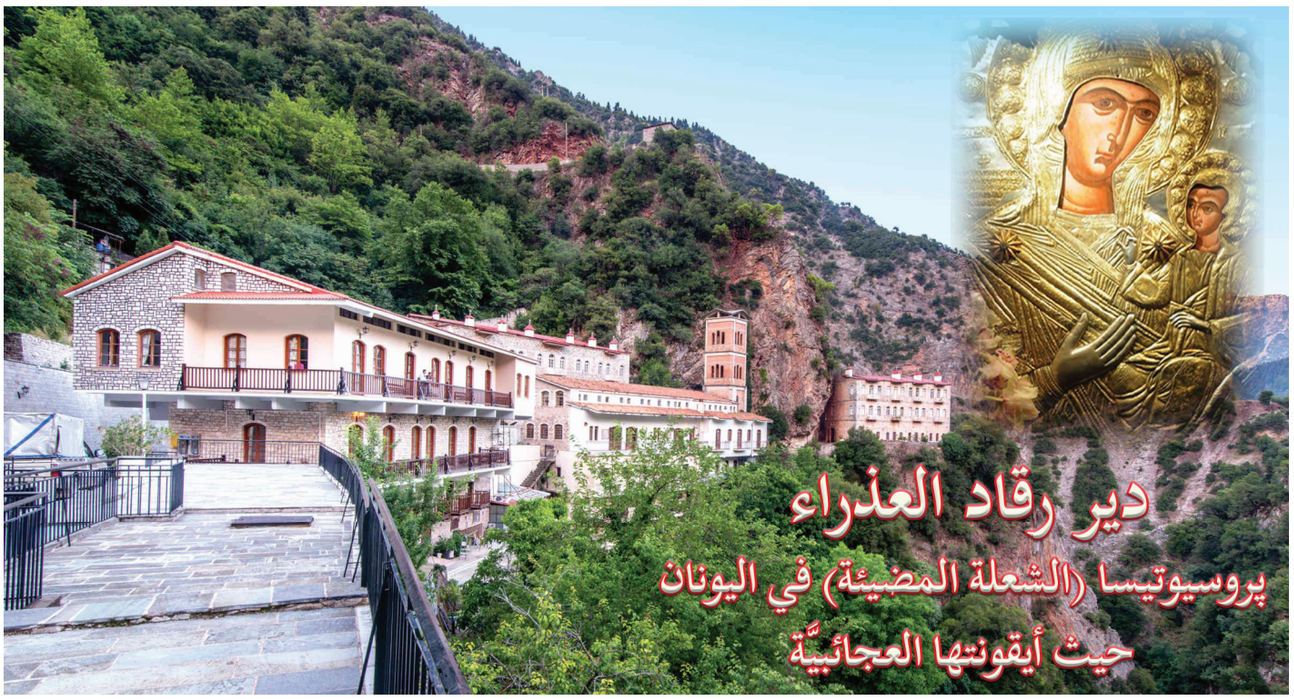

دير رقاد العذراء

پروسيوتيسا (الشعلة المضيئة) في اليونان

حيث أيقونتها العجائبيَّة

دير العذراء پروسيوتيسا (پروسيوتيسا =الشعلة المضيئة)

دير پروسوس المقدس هو دير في محافظة إيڤريتانيَّا في اليونان. تقع على بعد 31 كيلومترًا **جنوب كاربينيسي** و 53 **شمال شرق أغرينيو** ، وعلى بعد كيلومترين من **القرية پروسوس**، وهي مركز روحي وحج للمنطقة بأكملها. وهي مبنيَّة على قِمَمِ الجبال المرتفعة، في منطقة صخريَّة شديدة الانحدار بين **جبال هيليدونا وكالياكودا وسلسلة جبال بانيتوليكوس** المليئة بأشجار التنوب.

إنَّه دير تاريخي بامتياز ذو مبانٍ مهيبة من ثلاثة طوابق. **فدير پروسوس المقدس** مكرس **لرُقاد العذراء مريم وانتقالها الى السماء**، وفي عام 1748 أصبح الدير **ستاڤروبيجياكي** أي صليبي. (صليبي: تأتي من التقليد الكنسي الأرثوذكسي، حيث يُرسل البطريرك صليبًا ليتم وضعه على أساس كنيسة الدير، وهو فعل يؤدِّي لاعتماد الدير عليه، فيخضع مباشرة للبطريركيَّة أو للمجمع المقدَّس، وبالتالي فهو منفصل عن الإشراف الإداري للأسقف المحلِّي). ويتوسط ما بين أبنية الدَّير كهفٌ منحوت، يحتضن ما بين جدرانه الهيكل الأول والقديم للدير. وبداخله ولغاية اليوم، يتم الاحتفاظ بوقارٍ وإجلال **بأيقونة العذراء مريم العجائبية؛** التي تدعى **پروسيوتيسا** ويحتفل بعيد العذراء بكلِّ عظمة وفخامةٍ وبهاء؛ مرّتين الأولى لرقادها، والثاني لصعودها إلى السماء.

١) بتاريخ 15 آب لرقاد العذراء ودفنها في الجسثمانيَّة.

٢) بتاريخ 23 آب، احتفالٌ ثانٍ، لقيامتها وصعودها الى السماء.

يقال إنَّ هذه **الأيقونة العجائبيَّة لسيدتنا والدة الإله الدائمة البتوليَّةِ مريم، رسمها الإنجيليّ لوقا**. وقد أتت هذه الأيقونة من **بروسيا (بورصة)** في **آسيا الصغرى**. (وفقًا للمخطوطة 3 من مخطوطة **دير پروسيوتيسا المقدس**)، فتمَّ إحضارها من **بورصة** من قبل شاب نبيل خلال فترة الحرب الضَّروس ضدّ الكنيسة الروميَّة الأرثوذكسيَّة، فترة تحطيم الأيقونات المقدسة ومحاربتها، سنة 829 م، فترة حُكم **الامبراطور ثيوفيلُس** (829-842). (**حرب الايقونات استمرت قرابة 120 عامًا**).

ولكن في الطريق إلى اليونان، في **كاليپولي من ثيراقيا**، فُقدت الأيقونة، وتمَّ الكشف عنها بأُعجوبةٍ بواسطة أحد أبناء الرُّعاةِ في تلك المنطقة لأنَّ الأيقونة انارت مثل الشُّعلة وانبَثَّ منها عمودٍ من نورٍ لمدة اسبوع في المكان الذي وُجِدَت فيه. (**Πυρσὸς بيرسوس وتعني شعلة**). عَلِمَ الشاب، الذي جلَبَ الأيقونة بالأمرِ، إذ كان يسكن قرب مدينة لاريسا، أتَى مسرعًا لأخذ الأيقونة. لكن الأيقونة عادت بأعجوبة مرَّة أُخرى إلى الجزء البري من إيڤريتانيَّا داخل المغارة الصغيرة (كنيسة العذراء حاليًّا). حيث تم الكشف عنها للرُّعاة المحليين ليلة 22 إلى 23 أغسطس آب (عيد انتقال العذراء للسماء). نتيجة هذه الرؤية العجائبيَّة، قرَّر الشاب بيع جميع أملاكه المنقولة وغير المنقولة، واصطحَبَ أحد خُدَّامه متوجِّهًا حيث انتقلت الأيقونة، ليعتنقا الرهبنة خشوعًا ومهابة من هذه الأعجوبة الفريدة، ودُعيا بأسمين جديدين: الشاب أخذ اسم **ديونيسيوس** والخادم اسم **تيموثاوس**.

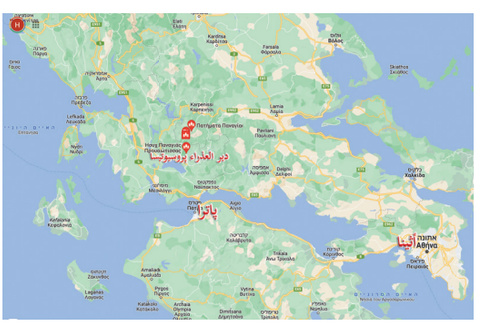

أيقونة الكليَّة القداسة، تسمَّى **بالأيقونة المُرشِدَة والموَجِّهة والقائدة**، وهي مُوَشَّحة بالذَّهَبِ ومطليَّة بالفضَّةِ، إنَّها هديةٌ من **الجنرال يورچيوس كارايسكاكيس** الذي استضافه الدير إبان ثورة 1821 م. صَنَعَ الثَّوب الموَّشح، **الصائغ يورچيوس كارانيكاس** عام 1824 م. كما يُظهر النقش البارز فوق الكتف الأيمن للسَّيِّدة العذراء: «**بانتاناسا**: تقدمة من الجنرال الشجاع يورچيوس كاريسكاكيس، بيد جورجيوس كارانيكاس، 1824 م.» (**انظر صورة الرَّاهب صفحة ٧**) في الواقع، تبرَّع **كارايسكاكيس الجنرال**، بالغطاءِ الفضِّي للأيقونةِ تعبيرًا عن امتنانه للعذراء، بعد شفائه من مرض الحمَّى، الذي أَلَمَّ بهِ، أثناء إقامته في الدير.

(بانتاناسا Παντάνασσα: وتعني ملكة الكُل. Παντοβάσιλισσα)

يُذْكَر في مخطوطات **دير العذراء پروسيوتيسا**، أنَّ الدير تعرض للتدمير مراتٍ عديدة أثناء الاحتلال التركي الغاشم. إلَّا أنَّ الكارثة الأخيرة التي ألَمَّت بالدير، كانت من قوات الجيش الألماني النازي، الذي حوَّل المباني إلى أكوام من الخراب، وتمَّ حرق جزء كبير من الدير من قبل الألمان في 16 أغسطس آب 1944، لأنَّهُ كان مركزًا لدعم مُتمرِّدي المقاومة. تمَّ تدمير العديد من الآثار والأواني والمخطوطات والكُتب ، ولكن لم يتمّ تدمير **أيقونة العذراء الثمينة** التي تمَّ وضعها في سرداب.

وبعد تدمير كُلِّ المباني، أراد أحد الضباط الألمان حرق الكنيسة أيضًا. فقد حاول مرَّاتٍ عديدة ولكن دون جدوى. بينما كان يقف في الخارج ويُصدر الأوامر، عُوقِبَ بشكلٍ غريب من قبل **يد العذراء مريم**، فقد دفعته قُوَّة غير مرئيَّة على الرَّصيف. كانت الضربة قويَّة، ولم يتمكَّن هذا الالماني من النهوضِ، عندها حمله الجنود ووضعوه على ظَهْرِ حيوانٍ ليأخذه إلى **بلدة أغرينيو** البعيدة من الدير العامر، وهكذا بَقِيَت الكنيسة شامخة وسالمة بين **يديْ والدة الإله** لقرونٍ عديدة.

الراهب يشير إلى النقش المكتوب

وبعد مرور أربع سنوات سنة 1948، كانت الحرب الأهليَّة مُستعرة في الرِّيف اليوناني، ممَّا جعل سكان محافظة إيڤريتانيَّا ومحافظة أورينيس نافپاكتيا، يغادرون قُراهم، ولجأوا إلى أجزاء أخرى من اليونان من أجل الأمان، وأصبحوا لاجئين في موطنهم، آخذين معهم **أيقونة والدة الإله العجائبيَّة**. فكانت الأيقونة خير رفيق للَّاجئين الذي طلبوا شفاعاتها غير المردودة، وكانت لهم كأولادها الأحباء الحامية والمنقذة لهم، فقد قام بهذه المهمة **رهبان دير پروسيوس** الذين نقلوا الأيقونة إلى **قلعة نافپاكتيا**، وهكذا بقي الدير مهجورًا بالكامل.

لم يمض وقتٌ طويل حتى بدأت العمليَّات العسكريَّة، فالفرقة التاسعة اليونانيَّة تتولَّى عمليات التَّصفية في محافظة إيڤريتانيَّا. تمرُّ بعض أقسام الفرقة التاسعة من قرب **دير پروسو**، فيقترب بعض الضباط والجنود من الكنيسة المظلمة في الكهف ويدخلون للعبادة، هناك يواجهون مشهدًا غريبًا: أمام الأيقُنوستات، وعلى يسار الباب الملوكي حيث يدخل ويخرج الكاهن أثناء الخدمة، توجد شمعة مُضاءة وراهبة راكعة. تعجَّب الجنود وأخذتهم الحيرة وأخذوا يتساءَلون: كيف تعيش هذه الرَّاهبة هنا، في الوقت الذي هجر فيه سكان إيڤريتانيَّا تمامًا؟، كيف تعول نفسها، وماذا تأكل، وكيف تعتاش، ومن أين تجد زيتًا للشمعة؟، فسألوها: وأجابتهم بتواضعٍ وألم: «يا أولادي، لقد عشتُ هنا كراهبة وناسكة لمدة عامين ونصف حتى الآن، من أجل حياتي الخاصة، ليس هناك حاجةٌ إلى الطعامِ أو الخبزِ. يكفيني فقط أنْ يبقى قنديلي مُشتعلًا ومُضيئًا.»، أمَّا الجنود، الذين سَئِمُوا الأعمال العسكريَّة، وهُم في عجلةٍ من أمْرِهِم، ويَهُمُّونَ بالمغادرة، لم يصغوا بانتباهٍ إلى كلماتها بما فيه الكفاية.

لكن في اليوم التالي، عندما أعادوا الأمر إلى ذاكرتهم وما شاهدوه في الكنيسة، وأمر الرَّاهبة، أدركوا أنَّ شيئًا رائعًا على وشك الحدوث. وعندما مرُّوا لاحقًا عبر نافپاكتوس، طلبوا بإصرار من قائدهم الإذن بزيارة الأسقف، رحب بهم **أسقف نافپاكتيا وإيڤريتانيَّا الأسقف خريستوفوروس** بالحبِّ والترحاب، وبعد أنْ أصغى إلى روايتهم، أخذته الرَّعشة، وبدأ بتسليط الضوء على ما تكتنفه هذه القصة من الغموض: «فأخبرهم أنَّ الهيكل الذي قُمتم بزيارته ينتمي إلى **دير پروسيوتيسا المقدس** المهجور الآن، والذي ظلَّت أيقونته المعجزة هنا منذ أكثر من عامين، في كنيسة حاضرتنا في الأبرشيّة، في **كنيسة القديس ديونيسيوس**. اذهبوا وصلُّوا بخشوع راكعين بخشيةٍ، عندها سوف تفهمون ».

في الواقع ذهبوا وسجدوا، عندها وبشكلٍ تلقائي، بعد معاينتهم للأيقونة فهموا جميعهم، وأخذوا التفسير لسؤال الأسقف. في أيقونة والدة الإله، تعرَّفوا على أنَّ العذراء هي التي ظهرت لهم بزيِّ الرَّاهبة التي التقوا بها في الكنيسة الصغيرة في الكهف، عاليًا في **دير پروسوس**.

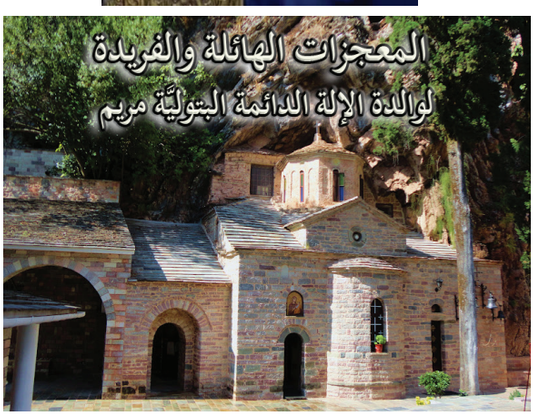

أُعيدَ بناء الدير مرَّة أخرى من قبل **رئيس الدير جرمانوس** ، والتي استمرت لمدة عشر سنوات في فترة السبعينيات 1970 من قبل رئيس الدير آنذاك ورئيس **دير دوخياريو بجبل آثوس** غريغوريوس.

دير پروسوس المقدس هو أحد الأديرة القليلة المحفوظة في محافظة إيڤريتانيَّا. الكاتوليكون (الهيكل المركزي) كنيسة مثيرة للاهتمام، صليبيَّة الشَّكل ذات قبة رائعة. إلى الغرب، عند قاعدة الصخرة، يوجد سرداب على شكل كنيسة صغيرة. تم إنشاء اللوحات الجدارية المحفوظة حاليًا حوالي عام 1785. داخل القبو في الجانب الخارجي تم الحفاظ على اللوحات الجداريَّة من القرن الثالث عشر، وبالداخل طبقتان من اللوحات، أحدهما يعود إلى عام 1518.

إن الأيقونسطاس المنحوت بالخشب في القبو، والذي يعود تاريخه إلى عام 1810، هو أيضًا رائعٌ للغاية.

يحتوي قبو الدير على عددٍ من المخطوطات النَّفيسة للرموزِ والأيقونات والأواني المقدسة والمخطوطات والكُتب. يضمُّ الدير متحفًا مُثيرًا للاهتمام، فيه بعض الكنوز: مثل أيقونات من القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وأثواب مقدسة، وكؤوس فِضيَّة وذهبيَّة، ومخطوطات مكتوبة بخطِ اليد، وكتب مطبوعة، وأيضًا سيف الجنرال كارايسكاكيس.

خارج الدير هناك نوعان من القلاع على اليسار واليمين، «**أبراج كارايسكاكيس**». توجد أيضًا **كنيسة صغيرة لجميع القديسين**، تم بناؤها عام 1754. أخيرًا ، تمَّ الحفاظ على المبنى المرمَّم بالكامل والذي كان يضم «**مدرسة الآداب اليونانيَّة**» التي كانت تعمل في الدير أثناء الاحتلال التركي.

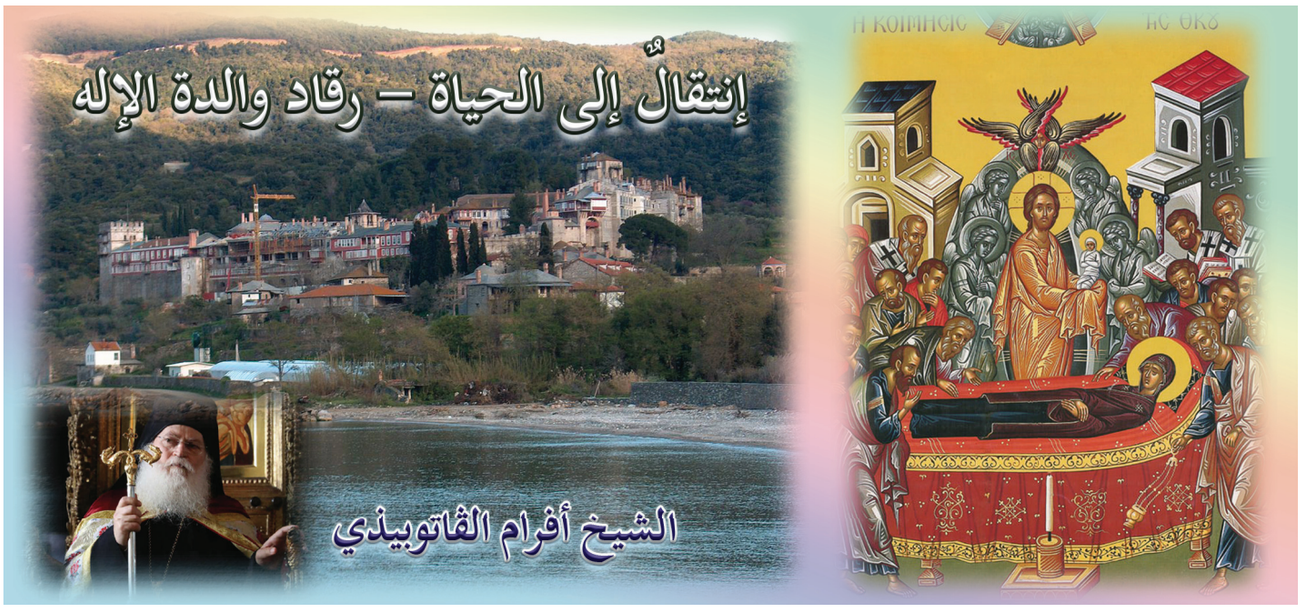

في كُلِّ مرّةٍ نحتفل فيها **برقاد والدة الإله**، كأنّنا نُعيِّد الفصح – الفصح الصيفيّ. تُهيِّئ **سيدتنا والدة الإله** الفصح لنا، انتقالٌ مجيدٌ من «الموت إلى الحياة». هو فصحٌ ثانٍ، مقدّسٌ بريءٌ من العيبِ، يمنح الحياة للبشريَّة، لأنَّ اليوم «**قوانين الطبيعة تُغلَبُ**».

يقول **القديس يوحنا الدمشقي**: «كيف تنتقل عنصر الحياة إلى الحياة بواسطة الموت». يتجاوز موت والدة الإله المُعْطِيَةِ الحياة مبدأ الموت، إذ لم يَعُدْ يُسمَّى موتًا، إنَّما «رقادٌ» و«انتقالٌ إلهي» وهجرةٌ نحو الإله. وحتَّى وإن سُمِّي موتًا، فهو موتٌ معطٍ للحياة، لأنَّه ينقلنا إلى حياةٍ سماويَّة خالدة.» أقوال القديس يوحنا الدمشقي.

دخل **انتقال والدة الإله** في تعاليم الكنيسة الأرثوذكسيَّة كحقيقةٍ لا تقبل الجدل، ومحفوظة في التقليد المقدس، وهو لا يمتُّ بصلةٍ بمعتقدات الغرب التقويَّة **حول الحبل بلا دنس وعدم موت العذراء مريم**.

كانت السَّيِّدة العذراء خليقة الله الوحيدة التي تفوَّقت على البشر والملائكة. فهي الإنسان الوحيد الذي عاش حياةً نقيَّة والتي تخطَّت إدراك كُلِّ البشر، إنَّها والدة الإله. لقد كان مناسبًا أنْ تعيش على الأرض من دون آلام الجسد والأمراض، لأنَّها لم تُخطئ أبدًا ولم تستسلم للأفكار الحسِّيَّة. وعلى الرَّغم من أنَّ جسدها كان مُعطيًا للحياة، كانت كإنسانٍ مُعرّضةً للموت، وبالفعل ماتت. لكنَّ جسدها وروحها لم ينفصلا عن الرَّبّ، بل انقطعت الصلة بينهما لوقتٍ قصير جدًّا، كما حصل مع **المسيح**.

بعد موتها، اتَّحدت روحها مباشرةً **بالمسيح**، لأنَّهُ، عند رقاد والدَتِهِ الذي حضره أجناد الملائكة السَّماوِيِّين والقدِّيسين، أخذ روحها المقدسة، لا إلى الفردوس فحسب، بل إلى «عرشه الملوكي، إلى قدس الأقداس السَّماوي»، بحسب ما أخبرنا القديس يوحنا الدمشقي. ونُقل جسد السَّيِّدة الفائقة القداسة المعطي الحياة، والحامل الإله بعد ثلاثة أيام إلى المملكة السماوية غير الفاسدة، إلى ابنها الوحيد والحبيب. بمعنى آخر، يمكننا أن نقول إنَّ والدة الإله قامت بالجسد. لكنّ هذه القيامة لم تكن من قِبل السَّيدة العذراء بنفسها، بل من قبل ابنها وإلهها.

والشَّاهد على هذه القيامة أو هذا الانتقال هو **الرَّسول توما** الذي لم يكن حاضرًا عند دفنها. لقد وصل متأخِّرًا كالعادة، وفي الواقع تأخَّر ثلاثة أيامٍ، ثمّ طلب من الرُّسل الآخرين فتح القبر، وذلك ليجدوا أنَّ **الجسد المُمَجَّد** لم يكن هناك. غير أنَّهم رأوا والدة الإله تصعد إلى السماوات، وتعطي الرسول توما زنَّارها الكريم المقدس، علامةً على صعودها، نوعًا ما بالطريقة ذاتها التي سمح **المسيح** فيها للرَّسول توما أيضًا بلمس جروحِهِ بعد القيامة.

لم يعرف جسد سيدتنا الفائقة القداسة فسادًا في القبر، تمامًا مثل جسد ابنها، لم يتغيَّر ولم يتحلَّل إلى العناصر الماديَّة التي كوَّنته. في كُلِّ الحالات، منذ قيامة **المسيح**، لم تتحلَّل أجساد الكثير من القديسين، وأصبح عددٌ منها ذخائر غير مُنحلَّة فكيف يُحسَبْ منطقيًّا أنَّ جسد من حملت الإله سيتحلَّل.

يقول **القديس أندراوس الكريتي** إنَّ عدم خسارة والدة الإله لعذريتها بعد ولادتها المسيح، له علاقة بعدم تحلُّل جسدها حين رقادها. «الولادة تجنّبت الفساد والقبر لم يقبل الانحلال».

بعد رقادها، أصبحت سيدتنا والدة الإله أمّ الخليقة الجديدة، كنيسة **المسيح**، لأنَّهُ كان لها دورٌ أساسيّ في الخلاص، بما أنَّ رأس الكنيسة الإله، أخذ منها جسده البشريّ. والآن في الكنيسة السَّماوية، هي ممتلئة نعمةً ومجدًا وبهاءً. لقد أصبحت المُنعِمة على كُلِّ الطبيعة والخليقة، ولهذا تكرّمها كُلُّ الخليقة كسيِّدة وعذراء وملكة ووالدة الإله.

من خلال والدة الإله وبفضلها، دخل تاريخ العالم بأسره مسارًا جديدًا أروع وأعظم ممَّا كان عليه قبلها. مَا مِن مخلوقٍ كان أو قد يكون أكثر كمالًا منها، ومن المستحيل أنْ تكون أكثر كمالًا مما هي عليه. فبحسب **الآباء**، ثمة ثلاثة أشياء لا يمكن أن يكون الله القدير قد خلقها أكثر كمالًا: **تجسّد كلمة الله، العذراء والدة الإله، والفردوس الذي سينعم به المخلَّصون**.

بعد قيامة **المسيح**، كانت سيدتنا العذراء الداعم الأساسي للرُّسل ولكنيسة **المسيح** المشَادة حديثًا. فقد علَّمت المسيحيِّين الجُدد

وأرشدتهم وكانت لهم مُعزِّية في الأحزان. نقرأ في النسخة الموسَّعة عن حياتها أنَّ **رئيس الملائكة جبرائيل** زارها قبل ثلاثة أيامٍ من رُقادها، كما فعل في البشارة، وأخبرها عن انتقالها المجيد من الموتِ إلى الحياةِ. ثمَّ جمع **الرُّوح القُدُس** بطريقةٍ عجائبية كُلَّ الرُّسل في الجسمانيَّة في منزل والدة الإله ليكونوا موجودين حين دفنها وأخذ بركتها. وبعد أن كرَّموا والدة الإله الفائقة التسبيح، طلبوا منها أنْ تُعطيهم درسًا أخيرًا كميراث، فحينها أعطتهم مثلًا يُقارَن فيه هذا العالم بمعرضٍ تجاري حيث مَن يقوم بأفضل تجارةٍ، يحصل على أوفر ربح. وتابعت الشرح بأنَّ الأمر سيّانٌ في الأمور الرُّوحيَّة. مَن يتبع وصايا **المسيح** بحماسٍ وحذر شديدَين سيحصل على أوفر ربحٍ وسيتمجَّد بمجدٍ أعظم في ملكوت السماوات، وحثَّتهم على الاستمرار في «الجهاد الحسن».

وبالفعل، كم تُسرُّ سيدتنا عندما ترانا نجاهد من أجل خلاصنا. كم تفرح بذلك! وكذلك هي أيضًا حين كانت على هذه الأرض، كم جاهدت بطريقتها الهادئة لتكون لنا مثالًا في النُّسك المثالي، على الرَّغمِ من أنَّها لم تكن بحاجةٍ لذلك بما أنَّها كانت من دون خطيئة. وبعد رُقادها، عُثر في الجسمانيَّة حيث كانت تسكن على ألواحٍ كانت تؤدِّي عليها السَّجدات، وكانت هذه الألواح مُشقَّقة كثيرًا من كثرة الدموع التي ذرفتها عليها.

لنتمثَّل أيضًا بطاعتها المباشرة، بتواضعها الطوعيّ، بجهادها السِّريّ والداخليّ والرُّوحيّ، بصلواتها الحارَّة، بيقظتها الدَّائمة التي أظهرتها، بحبّها الإلهي، وبالألم الرُّوحي الذي شعرت به كسكينٍ عند صليب ابنها **يسوع**.

لقد أصبحت بالنسبة إلى الذين يجاهدون «الحليف الدَّاعم»، حتى وإنْ سبقَ **وعاشوا حياة ضلالة**. لنتذكَّر أنَّ والدة الإله كانت شفيعة القديسة مريم المصرية بعد توبتها، وعندما ذهبت إلى الصحراء لتعيش جهادها القويّ، كانت سيدتنا العذراء تُواسِيها من خلال ظهوراتها الإلهيَّة.

وكمعلِّمةٍ أولى للرُّهبان، تنعم والدة الإله أيضًا عليهم بالهبات، خصوصًا لرهبان الجبل المقدس آثوس. فهي التي منحت موهبة **الصلاة القلبية** للقديس مكسيموس الكافسوكاليفي، وللقديس غريغوريوس بالاماس، وللقديس سلوان الآثوسي، وكذلك للشيخ الرَّاقد يوسف الهدوئي المرتبط مباشرةً بأخويتنا. والسبب الآخر وراء أهميَّة هذا اليوم بالنسبة إلينا نحن أولاده الرُّوحيين، هو أنَّ الشيخ يوسف الهدوئي رقد بالرَّبِّ في مثل هذا اليوم من العام 1959. أحبَّ سيدتنا العذراء، أُمَّنا الصغيرة الحنونة كما كان يسمِّيها كثيرًا، وحصل على رؤى وظهورات ومواهب كثيرة منها. وفي الواقع إحدى خصائص الآباء الآثوسيِّين هي حُبُّهم لوالدة الإله. فعند سماع اسمها، لا يمكنهم إخفاء دموعهم الناتجة عن حبٍّ نقيٍّ للأم العذراء. النفس التي تحبّ الإله، فور سماع اسم العذراء، تتعجَّب وتكون في حالة شُكرٍ. فحتّى تذكُّر والدة الإله، أي استذكار شخصها إلى العقل، يقدِّس الإنسان. كان الأب الراقد أثناسيوس الإيفيريتي (أي من دير إيفيرون في الجبل المقدّس) يقول: إنَّ حبَّ والدة الإله أنقذ أناسًا حتى وإن لم يكن لديهم أعمالٌ ليظهروها.

على الناس اليوم اللجوء إلى والدة الإله كوسيطةٍ لهم، وهذا لخلاصنا. علينا ألَّا ننسى في كُلِّ أحزاننا ومشاكلنا «معونة الحزانى، المحامية، المدافعة، معزّية المثقلين»، التي نلجأ إليها ونجد التعزية والرَّاحة الفوريَّة والاستجابة. نطلب من سيدتنا والدة الإله التي «**انتقلت إلى الحياة**»، أنْ تُعطينا جميعًا بركتها لنعيش حياتنا الحاضرة بسلام بعيدين كُلَّ البعد عن **مكائد وحيل الشيطان** وأن تجعلنا مستحقّين ملكوت ابنها **السماوي**. آمين.

(ترجمة بورفيريا هيكل)

بحسب **القديس باسيليوس الكبير**، ما مِن شيءٍ بلا هدفٍ وجيهٍ، لا شيء يأتي من الحظِّ، في كلِّ شيء بعض الحكمة السِّرية وغير المعلَنة. وبالتالي، في ما يتعلَّق بالنباتات وثمارها، وبغضِّ النظر عن أهميتها البيئيَّة كمنتجات للأنظمة البيئية، فهي أيضًا مدارس للكائنات العقليَّة ومدارس لمعرفة الله، التي تدرِّب الفكر وتقوده من المرئي والملموس إلى التأمل في الأشياء غير المرئيَّة.

تُشكِّل النباتات عُنصرًا هامًا في عبادة الكنيسة الأرثوذكسيَّة. في القُدَّاس الإلهي، يُستخدَم الخبز والنبيذ، ومنتجات الحبوب والعنب. في خدمة الخبزات الخمس تُبارَك الحبوب والخمر والزيت. بالإضافة إلى ذلك، وبحسب الممارسة الليتورجيَّة، يتمّ تقديم ثمار الأرض كالعنب والتين وتُبارَك عندما تنضج. في الواقع وبشكلٍ عام، فإنَّ كُلَّ عمل ومهمة مرتبط بالأرض وزراعتها يكون مصحوبًا إمَّا بالشُّكر للخالقِ أو بالطلبات لأن تؤدِّي الحراثة والحصاد إلى وفرةٍ من الثمار الصَّالحة.

لطالما كان في الكنيسة تقليدٌ قوامه أنَّ عند تقديم الخبز والخمر في

القداس الإلهي تُقَدَّم أيضًا ثمار الأرض ومنتجاتها الأخرى وتُبارَك. ولكن للحفاظ على التقليد المتمثل بتقديم الخبز والخمر فقط في القداس الإلهي، أوقفَت الكنيسة تقليدَ تقديم المنتجات الزراعية غير المرتبطة بالإفخارستيا خلال القداس.

ما سمحت به الكنيسة كان تقديم الحبوب والعنب فقط، مع الإيضاح بأنَّ هذه التقدمة تتمُّ عندما تنضج هذه الثمار على أنَّها تبريك للثِّمار الأولى كطريقة للتعبير عن الشُّكر لله على خصوبة الأرض ووفرة ثمارها. منذ مطلع القرن الثالث، تبنَّت الكنيسة صلوات من أجل الثِّمار الأولى كشكر الله الذي أعطاها لتعزية الناس وغذائهم. يؤتى بالثِّمار الأولى إلى الكنيسة كبادرة امتنان لله.

في ما يتعلق بمباركة ثمار الكرمة، يمكنُنا ملاحظة أنَّ هذا تقليد كنسي قديم، له خدمتان في كتاب خدمة الكهنة في كنيسة القسطنطينيَّة والطقوس الإمبراطوريَّة. لذلك وفقًا للعادات القديمة، تُبارك الكنيسة دائمًا الحصاد والعنب. حتى أنَّهُ في الواقع أُدخِل قانون يَقضي بأنْ تُبارَك الحبوب والخبز قبل أكلهما في بداية موسم الحصاد والقطاف.

إنَّ تبريك العنب في عيد **تجلي المسيح المخلّص** هو استمرار لهذا التقليد. يوجد مخطوط من القرن العاشر يحتوي على صلاة تشكر فيها الكنيسة الله الذي سُرَّ بأنْ تنضج الثَّمرة وتُقطَف وتجلب السَّعادة للناسِ بمذاقها. كما يتمُّ تقديم الخمر، وهو من نتاج العنب، كهِبَة ليتم تضمينها في الاحتفال **بسرِّ الافخارستيا**. كما توجد صلاة أخرى لاحقة، تذكر تبريك العنب فقط، مع إشارة واضحة إلى الحريَّة الرُّوحيَّة التي يضمنها **المسيح** من خلال القداس الإلهي.

من المثير للاهتمام أنَّهُ في بعض التقاليد الليتورجيَّة، تتمُّ مباركة ثمر الكرمة في **عيد رقاد والدة الإله**، بعد القداس الإلهي. هكذا كان الحال في القسطنطينيَّة، حيث كان **البطريرك يبارك العنب في ذلك اليوم، في كنيسة سيدة فلاخرن، بحضور الإمبراطور**. من النصوص الأخرى، يبدو أنَّ التقدمة كانت تتمُّ في عيد رفع الصليب الثمين. من الواضح إذن أنَّ وقت مباركة ثمرة الكرمة يعتمد على الظُّروف السَّائدة في الطبيعة في كُلِّ منطقة وعلى الوقت الذي تنضج فيه.

إذا رغبنا في النظر إلى العلاقة اللاهوتيَّة بين العيد وتبريك العنب، فإنَّ أفكارنا ستنتقل حتمًا إلى مَثَل الكرمة، حيث يتم تقديم **المسيح** ككرمة حقيقيَّة. بمباركة العنب، يتمُّ التأكيد على أنَّ الناس يحتاجون إلى إنتاجيَّة روحيَّة وتقدُّم تحوُّلي نحو القداسة والتمجيد بالنِّعمة والشَّركة مع الله. إلى ذلك، **فالمسيح** هو الكرمة التي جذورها في السَّماء وفروعها على الأرض. لقد تمَّ تشذيب الجسد، وليس الجذر، ومن ثمَّ في اليوم الثالث جلب ثمر القيامة.

من ثمَّ يتبع أنَّ مع **تجلِّي الرَّبِّ** حيث ظهر مجده، استنارَ العالم وَتَمَجَّدَ. بالنتيجة، استجابت الخليقة بالتمجيد والشكر لهذه العطيَّة والكنيسة تستمر في مباركة العالم وباكورة أثماره. هذه المباركة للأثمار تُشَدِّدُ على أنَّ الخليقة تُقدِّم المديح والامتنان **للخالقِ**. إلى هذا، العنب هو الثمر الذي يعطينا الخمر الذي نقدِّمه مع الخبز ليصيرا **جسد ودم المسيح**. بالاشتراك في هذه نصير وحدة في الجسد والدم مع **المسيح**.

كوننا مخلوقين على صورة الله ومثاله، تسلَّمنا العالم مُبارَكًا ومقدسًا من يد الله. كان هناك تناغم وتعاون بيننا وبين بيئتنا. السُّقوط جلب الفساد للخليقةِ لأنَّها تبعت الطريق نفسه الذي سلكناه. بعد أن عصينا وجحدنا تعاليم الله بدأنا باستغلال الخليقة وإساءة استعمالها. ثارت الطبيعة مرات عديدة ضدَّ مسارنا الخاطئ ، وكانت المحصِّلة الأخيرة أنَّ الطبيعة بدلًا من السلوك بشكلٍ بنَّاء وإيجابي نحونا، أتَّبَعَت مسارات سلبيَّة وهدَّامة. إذاك نشعر بأنَّها تقاوم سلوكنا الهدَّام. إنَّ الهيجان في علاقاتنا مع الله جلب لنا الخراب في علاقاتنا مع الطبيعة خَلِيقَتِهِ.

مع هذا، فَكمسيحيِّين علينا ألَّا ننظر إلى الطبيعة كفاقدةِ التقديس بل علينا أنْ نراها «هبةً» من الله. علينا أنْ نشعر بأنَّنا في العالم نحيا في محبَّة الله. وَكمسيحيِّين يشدّنا توقٌ كبير للاستجابة لهذه المحبَّة، بأنْ نأخُذ عناصر من العالم المادي ونقدمها لله. نحن نجلُب الخبز والخمر، عناصر ممثِّلة للعالم المادي بشكرٍ لله، ومن بعد تقديسها يُعاد تقديمها إلينا **كجسد ودم المسيح**. بهذه الطريقة نحن نتذوَّق مُسبَقًا العالم كما سوف يتجلَّى في **المسيح** في آخر الزمن.

ملحوظة: بالحقيقة يلاحظ الكاتب أعلاه أن عيد التجلِّي هو تذوُّق مُسبَق لآخر الزمن. بحسب إنجيل مرقس: «وَقَالَ لَهُمُ:«الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هٰهُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللهِ قَدْ أَتَى بِقُوَّةٍ». «وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ وَحْدَهُمْ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ» (٩:١-٢). يأتي الالتباس هنا من عبارة «**بِقُوَّةٍ**». إذا أخذَت العبارة مفصَّلة ففيها (حرف الجر) «بِ» و«قُوَّةٍ». معًا، يشكِّلان عبارة تتعلَّق بالإمكانيَّة. إذًا في الفيزياء، «الطاقة الممكنة» هي في اليونانية «في قُوَّةِ الطَّاقة». لذا الترجمة المثالية ممكن أنْ تكون: «**لن يذوقوا الموت حتى يذوقوا مسبقًا ملكوت الله**» كما حدث بعد ستة أيام من ذلك.

أنا كائن

قالَ لهم يسوع: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (يوحنا ٨:٥٨).

تعتبر هذه الآية في الواقع من أكثر الآيات التي قالها يسوع عن نفسِهِ إثارةً للاندهاش.

لقد عاشَ إبراهيم أب الآباء، قبل المسيح بما يقربُ من ألفي عام، وفي المقابل يقول يسوع: إنَّهُ كائن قبل الألفي سنة.

(انظر صفحة ٢٠)

الفصل الخامس والعشرون

(تتمة)

ـ وماذا سيحلُّ بصحتِّكَ؟

ـ سوف تتحسَّن هي أيضًا. فاذا كان يروق للرَّبِّ تأسيس هذا الدير، فسيمنحني الصِّحة وكُلُّ ما هو لازمٌ.

ـ وكيف ستتدبَّر أمرك في التنقُّل بين **أثينا وإيچينا**؟

فابتسم **نكتاريوس** ومدَّ يده باتجاه المكتبة في حركة مُبهمة، وقال:

ـ كم بَقِيَ لي من سنوات التعليم؟ سوفَ اعتزل بالتأكيد. وسأتمكَّن أخيرًا من اعتناق الحياة الرهبانيَّة. لقد كلَّمتك بالأمر منذ أربع سنوات، ألَا تتذكَّر ذلك؟

واحمَرَّ وجه كوستي وامتلأت عيناهُ بالدُّموع. وقال:

ـ وأنا، ماذا سيحلُّ بي يا صاحب السِّيادة؟ وكيف سأعيش بعيدًا عن قداستك؟ ... سأكون كالقصبة بجوار النهر ... سوف يطردونني أنا أيضًا من «ريزاريو» **(كون القديس نكتاريوس مديرًا للمدرسة الإكليريكيّة، مدرسة ريزاريو)**. وعندها ...

ـ لكنَّكَ ما زلتَ مسؤولًا عن عائلتك، كما كنتَ تَدَّعي دائمًا بإصرار. لماذا لا تُصبح كاهنًا يا كوستي؟.

ولم يردَّ كوستي، بل سادَ صمتٌ طويل ... ثمَّ قال:

ـ لا أستطيع يا صاحب السِّيادة. إذْ أشعُر بأنَّ لا غِنَى لعائلتي عن وجودي بقربهم، وبقرب والدي العجوز المُتعَب. ولا أخفي عليكَ أنَّني أتردَّد بسبب طريقة سير الأمور في الكنيسةِ اليوم ... وأخاف.

ـ أنتَ مُخطىء. وعلى كُلِّ حال فقد تكلَّمنا في الموضوعِ كثيرًا ومُطوَّلًا، إذا كنتَ تذكر، ولن أُحاول أن أجعلك تُغيِّر رأيك الليلة. أشعر أنَّكَ غيرَ مستعد لحملِ صليبٍ أثْقَلَ! ... وفي جميع الأحوال لا تَخَف، فلن أتركك وحدك. لكن كم مرَّةٍ أخبرتُكَ وبرهنتُ لكَ أنَّ حياة المسيحيّ الحقيقيّ ومصيره لا يتعلَّقان إلَّا بالرَّبِّ وحده؟.

فأَخَذَ كوستي نَفَسًا عميقًا وتنَهَّدَ. ثمَّ تمتم:

ـ ما زلتُ بعد في البداية. أحيانًا أشعر بالحزن، وأحيانًا أُخرى بالخوفِ. فالأيام الحاضرة صعبةٌ جدًّا. وهذا العَصر مليءٌ بالبلبلة.

وهنا نظر **نكتاريوس** إلى ساعتهِ وانتفَضَ. ثمَّ انحنى على كوستي بحنان أبويّ وقادَهُ بلُطفٍ إلى الباب قائلًا له:

ـ أَدِّ صلاتك واذهب إلى النوم دون أنْ تفكِّر بشيء. يكفي كُلَّ يومٍ شَرُّهُ. وسَأُصلِّي إلى الرَّبِّ ليمنحك الليلة نومًا خفيفًا تتعزَّى فيه نفسك.

الفصل السادس والعشرون

«وَهذَا أُصَلِّيهِ: أَنْ تَزْدَادَ مَحَبَّتُكُمْ أَيْضًا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَفِي كُلِّ فَهْمٍ، حَتَّى تُمَيِّزُوا الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا مُخْلِصِينَ وَبِلاَ عَثْرَةٍ إِلَى يَوْمِ الْمَسِيحِ» (فيلبي ١:٩-١٠).

استُقْبِلَ **نكتاريوس** بكثيرٍ من الحفاوة من **المطران ثيوكليطس متروبوليت أثينا**، وَقَبَّلَهُ وأجلَسَهُ واستَمَع إليه وهو يُخبره بُكِلِّ ما قام بهِ من أجلِ إعادة تشييد **دير إيچينا**. وبدا مُتحَمِّسًا للفكرَةِ.

وقال **نكتاريوس**:

ـ هناكَ أيضًا سَيِّدة وَرِعَة تُدعَى **أَلِكسَندرا**، وهي ترغب ببناء كنيسة في ذلك المكان. فإذا أَذِنتُم لي وكانت هذه مشيئةُ الرَّبِّ. فسوفَ أعود إلى هناك بعد عيد الفصح لوَضعِ حجر الأساس.

ثيوكليطس متروبوليت أثينا:

ـ بِكُلِّ سرورٍ يا أخي الجليل **نكتاريوس**. أنا أُوافقك بالطبعِ وأُشجِّعك أيضًا. وسوفَ أهتم بالحصولِ على اعتراف **المجمع المقدَّس** بهذا الدير، تمامًا كما بالنسبةِ إلى **دير كالاماتا**.

ـ أشكُرُكَ من كُلِّ قلبي.

ـ لا تشكرني، فأنا لا أقومُ إلَّا بواجبي. وعلى كُلِّ حال فأنا أُريد أن أُعَبِّرَ لكَ عن دهشتي وإعجابي بِكَ لأنَّكَ ما زلتَ قادرًا على الاهتمام بمثل هذه القضايا. إنَّ كهنة هذا العَصر كَسَالَى. وحتى الشَّمامسة، فإنَّهم لا يبذلون هذا القَدر من الجُهدِ، بل أنَّهم قد يعتبرون هذه الأمور تافهة ودون أهميَّة. متى ستحصل مباشرة البناء ؟

ـ أرجو أنْ يتسَنَّى لنا ذلك في نهاية العام، أو بعد ذلك بقليل.

ـ حسَنًا، سوفَ أُرسل لكم إذن بعض فتيات اسبارطا التَّقيات لشَغلِ المراكز الشَّاغرة.

فأجابَ **نكتاريوس**:

ـ هذا شرَفٌ عظيمٌ لنا يا صاحب السِّيادة. هل ترضى بمرافقتي في أحدِ الأيام إلى زانطا في الجزيرة، لمعاينة المكان شخصيًّا؟

ـ بالطبعِ وبكلِّ سرور، ولكن بعد بضعة أسابيع، فأنا مُنشَغِل كثيرًا في هذه الأيام. وسوفَ أُعْلِمُكَ برغبتي لاحقًا ...

وأَحَسَّ **نكتاريوس** أنَّهُ يطير منَ الفَرَحِ. وانحنى لِيُقَبِّلَ يد المتروبوليت، إلَّا أنَّهُ أبعدها. ثمّ رافقه حتى السُّلَّمِ وقال له بصوتٍ منخفض:

ـ عِش طويلًا يا **نكتاريوس**!.

(يتبع)

بعض **الباحثين البروتستانت مثل أدولف هارناك** يرفضون العقيدة المسيحيَّة القديمة: «التألُّه»، على أنها غير كتابيَّة ونتاج التأثير الهيللينيّ الوثني. لكن الباحثين المعاصرين أظهروا أنَّ التألُّه – على الرغم من وجود بادرة هيللينيَّة – عقيدة مسيحيَّة بشكلٍ كاملٍ في فكر وتعليم الآباء الذين كتبوا باليونانيَّة، ومتفقة جدًّا مع الكتاب المقدس.

كتب أثنان من الباحثين المعاصرين:﴿من السَّهل أنْ تُشوِّش «التألُّه» المسيحيّ ببعضٍ من الأفكار الوثنيَّة التي سبقته، وبناءً على ذلك ترفض المعنى المسيحيّ بسبب الصفات السيئة التي للمعنى الوثني. لكن آباء الكنيسة الأولى لم يُشوِّشوا هكذا بكل سهولة، ربما لأنهم كانوا بالقرب من مصادر التشويش (معاصرين للوثنيَّة)، وبالتالي كان لزامًا عليهم أن يبيِّنوا التمايز والاختلاف بشكلٍ واضح﴾ (١).

يُظهِر **الباحث جروس** - عند مقارنة التألُّه المسيحيّ بما سبقه من فكر هيللينيّ وثني - أنَّ آباء الكنيسة رأوا التألُّه كعقيدةٍ مسيحيَّة بلا جدال. عقيدة التألُّه ليست جزءًا ممَّا دعاه **هارناك** : تحويل كلمات البشارة الأصليَّة إلى فلسفات يونانيَّة وثنيَّة، لكنَّها بالأحرى نُمُوٌّ متواصل نحو الحالة التي يجب أنْ نرجع إليها، الحالة التي «سلَّمها إلينا **الكلمة (اللوغوس)** في البداية» (بحسب كلمات القديس إيريناؤس). فآباء الكنيسة الأولى في الشرق لم يهيللينوا المسيحيَّة بقدر ما نصَّروا الهيللينيَّة.

يعلمنا علم اللاهوت الأرثوذكسيّ أنَّ التألُّه ما هو إلَّا النُموّ والازهار – الذي لا ينتهي – لصورة الله فينا، التي تنضح بجمالها من مجدٍ إلى مجد. التألُّه هو تحقيق الإمكانيَّة التي زرعها الله فينا في المعمودية المقدسة. التألُّه هو تلك العمليَّة التي تصير فيها الصورة – بنعمة الله – على مثال الله. كتب **الأب ستانيلوي** أنَّ: «**صورة الله لم تُفقد نتيجةً للخطيئةِ لكن عمليَّة التحوُّل ليصير الإنسان على مثال الله توقفت**». هذه العمليَّة إستأنفت الآن في **المسيح**. لا يستطيع أحد أنْ يبلغ إلى هذا الاتحاد الباطني مع الله إلَّا في **المسيح** ومن خلال **المسيح** بقوَّة **الرُّوح القُدُس**، فهو الطريق الوحيد وليس هناك غيره.

يمكن للطبيبِ النفسيّ أنْ يخبرنا ما هو الخطأ فينا، سواء مِنَ الناحية النفسيَّة أو العاطفيَّة، لكن السَّيِّد **المسيح** هو فقط الذي يستطيع أن يعطينا القوَّة للنهوضِ **من الخطيئة والضعف**، لكي نصير ما ينبغي علينا أنْ نكون عليه: أولاد الله وآلهة بالنعمة.

يكتب الأسقف مكسيموس أجيورجيوسيس : « يميز آباء الكنيسة بين صورة الله في الإنسان ومشابهته له أو المثال(٢) ، الصورة هي الإمكانية المعطاة للإنسان التي يمكنه بواسطتها الحصول على حياة التألُّه (الشركة مع الله)، أمَّا المثال فهو تحقيق هذه الإمكانية، أي أنْ تُصبح أكثر فأكثر صورة الله، ومن ثم أكثر فأكثر مثل الله. بكلمات أخرى، التمييز بين الصورة والمثال هو التمييز بين ما نحن عليه (بالإمكانية التي أعطاها لنا الله) وما نحن صائرون إليه»(٣).

الخَلاص وفقًا لعلم اللاهوت الأرثوذكسيّ ليس حالة وجود بل حالة تحوُّل، حركة ثابتة نحو **الاتحاد بالله** (التألُّه)، الذي لا يمكن انْ يتحقَّق بالتَّمام في هذه الحياة. هي عملية تبدأ هنا وتُحقَّق وتُكمَّل في السماء. لم يقل قديسو الكنيسة قط: «**أنا خَلُصت، أنا مُبَرَّر، أنا وَصَلْتُ**»، بل كانوا دائمًا في الطريق، لذلك استمروا في ترديد **صلاة يسوع** حتى نهاية حياتهم: «**ياربي يسوع ابن الله أرحمني أنا الخاطئ**». الحياة المسيحيَّة هي حياة نموٍّ مستمر، تحوُّل مستمر، رحلة مستمرة من كون الإنسان على صورة الله إلى أن يصير على «مثال الله».

عملية التألُّه تبدأ بالمعموديَّة لكنها سوف تَكْتَمِل بكُلِّ بهائها فقط في ملكوت الله أي في السماء. هناك اولاد الله لن يُنظروه فقط في مجده (يو ١٧: ٢٤)، لكنهم برؤيتهم الله «كما هو» سوف يصيرون «مثله» (١يو٣: ٣-٥). هناك سوف نشترك فيه بصورة أكمل، بحسب كلمات القديس يوحنا الدمشقي: « **أيها المسيح الفصحُ الأَجلُّ الأَمثلُ، يا حكمة الله وكلمتَهُ وقوَّتَهُ، أَنعِم علينا بأنْ نُساهِمَكَ بأوفرِ حقيقَةٍ، في**

نهارِ مُلكِكَ الذي لا يغرب أبدًا»، وكما يقول القديس أغناطيوس: «هناك يكون الاتحاد النهائي والكامل مع الله، هذا الاتحاد الذي قد تَشَكَّلَ فقط في هذه الحياة الحاضرة، سوف يُزهر ويتفتَّح بكُلِّ روعته هناك». ويقول أيضًا: «هناك بعد القيامة سيكون للمؤمنين شركة في المسيح وسوف يحوزون على عدم فساد وحياة أبديَّة».

يضيف القديس كيرلُّس الإسكندري: أنَّ فداءنا هو عمليَّة متواصلة وديناميكيَّة نحو التألُّه، والتي سوف تُحَقِّق كمالها النهائيّ في المجيءِ الثاني للمسيح. في الدَّهر الآتي، هبة التألُّه الممنوحة لنا في هذه الحياة بواسطة تَشَبُّهِنَا بالسَّيِّد المسيح وسُكْنَ الرُّوح القُدُس سوف تُحَقَّق في كمالها. إذ أنَّنا ونحن لابسون الجسم الرُّوحاني (١كو١٥:٤٤) وصائرون في عدم فساد (١كو ١٥:٥٢) سوف نرى الله وجهًا لوجه. (١كو١٣:١٢).

يخبرنا الكتاب المقدس بأنَّ الله هو الذي شَكَّلَنا في رحم أُمِّنا، وعندما شَكَّلَنا وضع فينا أعلى إمكانيَّة محتملة: التألُّه والاتحاد بالله. جزءٌ من مأساة الإنسان أنَّ هذه الإمكانيَّة العظيمة تبقى فقط كإمكانيَّة ولا تتحَقَّق في مِلئها. الإنسان في الحقيقة هو مخلوق ضعيف لكنه وُهِبَ من الله إمكانية عظيمة رائعة. يقول الكاتب رالف والدو(٤): «ما نخلِّفه وراءنا وما يمتدُّ أمامنا يُعتبر مسائل صغيرة مقارنةً بما يَكْمُن في داخلنا» . كلُّنا نولد متساويين. عملنا هو أنْ ننمُو ونفوق المساواة بالامتداد نحو تحقيق إمكانيتنا في السَّيِّد المسيح. هناك عَظَمَةٌ فينا، قال العلامة أوريجانوس (١٨٤-٢٥٤ م): «كُلُّ كائنٍ بشريّ هو بالطبيعة هيكل لله، مخلوقٌ ليستقبل في نفسه مجد الله ذاته». بالرَّغمِ من أنَّنا كبشرٍ لنْ يكون لنا طبيعة إلهيَّة مُطلقًا، إلَّا أنَّنا مدعُوُون لنصير شركاء الطبيعة الإلهيَّة. (٢ بط ١:٤).

علم اللاهوت الأرثوذكسيّ يسمي الإمكانيَّة التي خلقنا الله من أجل تحقيقها : التألُّه، لا ترتعب من هذه الكلمة، فهي في الواقع مفهومها بسيط جدًّا، وهو أنَّ جوهر البشارة الأرثوذكسيَّة هو أنَّنا مدعُوُون للاشتراك في حياة الله ذاتها. الخلاص في المفهوم الأرثوذكسيّ معناه الإيجابي أكثر بكثير من معناه السلبي. الخلاص يعني ليس فقط التبرير وغفران الخطايا بل يعني أيضًا – ولدرجة أكبر – التجديد وإعادة إصلاح صورة الله فينا، ورفع البشريَّة السَّاقطة بواسطة السَّيِّد المسيح إلى حياة الله ذاتها. السَّيِّد المسيح يغفر لنا ويحرِّرنا مِنَ الخطيئة والموت حتى يمكننا أنْ نتقدَّم نحو تحقيق الإمكانيَّة التي فينا، وهي أنْ نصير مثل الله في المسيح وان نشترك في حياته. السَّيِّد المسيح جاء ليخلِّصنا من الخطيئة لكي نشارك في حياة الله. وبكلمات أخرى، نحن خَلُصْنَا من الخطيئة لهدف التألُّه الذي هو إمكانيتنا العظيمة.

التألُّه هو اشتراك شخصي في حياة الله من خلال الإيمان والصلاة والأسرار الكنسيَّة. التألُّه هو الإمكانية الغنيَّة التي وضعها الله في كُلِّ إنسان مُعَمَّد. الله هو اسم مسيرة الخلاص التي تبدأ بالمعموديَّة حيث نتَّحد بالمسيح ونتغَيَّر نحو شِبْهِهِ. التألُّه هو تغيير وتجلِّي أسلوب حياتنا، من حيث اهتمامنا بالقريب والمشاركة المتبادلة والمحبة، وتوظيف أنفسنا وأملاكنا والخيرات الأرضيَّة لخدمة الله. يكتب الأب جورج فلورفسكي ما يلي: «معنى التألُّه هو الشركة الحميميَّة للبشرِ مع الله الحيّ لا أكثر. أنْ تكون مع الله معناه أن تسكن فيه وأن تشترك في كماله».

التألُّه هو «الحياة في المسيح». يقول بولس الرسول: «فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ.» (غلا ٢:٢٠). عندما يحيا المسيح فينا، تكون حياة الله فينا. عندما يحيا فينا، لا يكون المسيح مثل تمثال مَيِّت في معبد بل يكون حياتنا ذاتها. تصير هناك شركة حقيقيَّة بالطبيعة الإلهيَّة والحياة الإلهيَّة. القديس بولس الرسول استخدم هذا التعبير : «إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ.» (غلا ٤:١٩). مثل هذا الاتحاد مع المسيح يؤلِّهنا، مع ترك شخصيتنا كُلِّيًّا بلا مساس. فهذا لا يستلزم على الإطلاق امتصاص شخصيَّة الإنسان بل الإزهار والتحقيق الكامل – بنعمة الله – لشخصيَّة الإنسان الفريدة المعطاه له من الله.

لا عجب في أنَّ الكنيسة الأرثوذكسيَّة تعتبر هدفنا في الحياة هو الإتحاد بالله أو التألُّه! فنحن خُلِقْنَا للاشتراك في حياة الله. هذا ما يجعلنا مختلفين عن الحيوانات. نحن خُلِقْنَا لكي نكون أوعية لحياة الله، وبدون ذلك نتوقَّف على أنْ نكون حقًّا كائنات بشريَّة. عندما سأل شخص يومًا ما كاهنًا أرثوذكسيًّا عن اعتقاده في ما هو الشَّيء الذي تُشدِّد عليه الكنيسة بشكل رئيسي في تعليمها الأرثوذكسيّ، أجابه بكلمة واحدة: «التألُّه»، وكان مُحقًّا. ويقال أنَّ أعظم تقدير قدَّمَهُ الله للإنسان هو عندما قال له: « فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ.» (مت٥:٤٨).

التألُّه ليس فقط عقيدة، أو تعليم للكنيسة، لكنَّنا نراه كحقيقة حيَّة في والدة الإله وقديسي الكنيسة. التألُّه نراه حقيقيًّا في القدِّيسين الذين تبرَّروا وتقدَّسوا وصاروا أبناء وبنات القيامة. القدِّيسون هم آلهة بالنعمة والشركة، عاكسون نور ومحبة المسيح في حياتهم. حياة القدِّيسين وأيقوناتهم تُشرق بحضور الله، وتعمل على تذكيرنا بدعوتنا السَّامية: أنْ نصير آلهة بالنعمة، «لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ.» (رو ٨:٢١).

شَرْحُ تجسُّد السَّيِّد المسيح وعقيدة التألُّه عند الآباء يسيران جنبًا إلى جنب. فالرَّبُّ صار ما نحن عليه حتى يمكننا أن نصير على ما هو عليه. من خلال التألُّه، تحقَّقت صلاة الرَّبّ يسوع الشفاعيَّة: «لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا» (يو ١٧:٢١).

القديس غريغوريوس النزينزي يوضح كيف أنَّ سِرَّ التجسُّد ونعمة التألُّه مرتبطون إرتباطًا وثيقًا بعضهم ببعض، عندما قال: «دعونا نعرف كرامتنا، دعونا نكرم نموذجنا الأصليّ(٥)، دعونا نعرف قُوَّة هذا السِّر(٦) ولماذا قَبِلَ السَّيد المسيح الموت، دعونا نصير مثل المسيح بما أنَّ المسيح قد صار مثلنا. دعونا نصبح آلهة لأجله بما أنه قد صار إنسانًا لأجلنا. هو قد اتخذ الأسوأ حتى يمكن أنْ يعطينا الأفضل. صار فقيرًا حتى يمكننا بواسطة فقره أنْ نكون أغنياء. إتَّخذَ لنفسه صورة عبد حتى يمكننا أنْ نُرفَع. جُرِّبَ حتى يمكننا أنْ نغلِب. قَبِلَ العار حتى يمكنه أنْ يمجِّدنا. مات حتى يمكنه أنْ يُخلِّصنا. صَعِدَ حتى يمكنه أنْ يجذبنا لنفسه، يجذب ذلك الإنسان الذي كان مذلولًا في سقوطِ الخطيئة. دعونا نعطي كُلَّ

شيء، نقدِّم كُلَّ شيء لذلك الذي قدَّم ذاته فِدْيةً ومصالحةً لأجلنا. لكن لا شيء يمكن أنْ يعطيه الشخص مثل أعطائه لذاته، بتفَهُّمه هذا السِّر، وصائرًا إكرامًا للمسيح كُلّ ما صار هو إكرامًا لنا.»(٧)

أب آخر من آباء الكنيسة هو **القديس إيرينيئوس** يضيف الآتي:

« أنَّهُ لهذه الغاية صار كلمة الله إنسانًا، وابن الله صار ابن الإنسان، حتى يمكن للإنسان بآتِّحادِهِ بالكلمة وقبوله التَبنِّي أنْ يصير ابن الله. إذ لم تكن هناك أيّ وسيلة أخرى يمكننا بها أنْ نُحَقِّق عدم الفساد والخُلود. إذ كيف يمكننا أنْ نَنْضَمَّ لعدمِ الفساد والخلود ما لم يصر الخلود وعدم الفساد على ما نحن عليه أولًا، حتى يمكن للفاسد أنْ يُبتلع من عدم الفساد، والمائت من الخلود(٨)، حتى يمكننا الحصول على تبني الأبناء؟»(٩)

١) الاقتباس السابق هو من أحدث الدراسات حول هذه العقيدة، وهو مترجم من اللغة الفرنسية:

The Divinization of the Christian According to the Greek Fathers, by Jules Gross, translated by Paul A. Onica, and published by A and C Press. Anaheim, CA, 2002.

٢) " وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا (كشبهنا) ... فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم" (تك ١: ٢٦،٢٧)

٣) "Salvation in Christ - A Lutheran-Orthodox Dialogue," John Meyendorff and Robert Tobias. Augsburg Publ. House, Minneapolis, MN. 1992.

٤) رالف والدو Ralph Waldo Emerson (١٨٠٣-١٨٨٢م) شاعر وأديب وكاتب أمريكي مشهور

٥) السيد المسيح هو "صورة الله غير المنظور" (كو ١:١٥) أو النموذج الأصلي Archetype، أما الإنسان فقد خلق - بحسب الآباء - على صورة الصورة أي على صورة السيد المسيح.

٦) ألقيت هذه العظة في عيد القيامة، فالسر هو تدبير الخلاص، سر موت وقيامة المسيح

٧) N. & Post) on Easter, Saint Gregory Nazianzen 1 Oration (Series Nicene Fathers, 2 Vol, 7 Page 392)

٨) "لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت. ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة" (١ كو ١٥: ٥٣،٥٤)

٩) Saint Irenaeus, Book 3, Against Heretics, Chapter 19: 1

يتمُّ دائمًا الكشفُ عن الحبِّ اللامتناهي **للإله المثلَّث الأقانيم** للبشرية جمعاء، حتى لو كان هذا موضع اعتراض، أو عدم اعتراف بهذا الكشف، لأنَّهُ ليس من السَّهلِ إدراكه. لذلك **يعلِّم آباء الكنيسة** أنَّ طاقة الله غير المخلوقة، والعناية الإلهيَّة الاستباقيَّة وبشكل ريادي، تشعُّ في جميع أنحاء العالم والخليقة. بينما الطاقة الإلهيَّة المُقدِّسة وغير المخلوقة للهِ، تُسْكَب بسخاءٍ في الكنيسة من خلالِ الأسرارِ. وبالتالي: لا يتمّ التخلِّي عن كُلِّ عضوٍ من أعضائها بمفردِهِ، وبشكل حتمي يتمُّ تشجيعه وإلهامه في حياة الرُّوح بطرق مختلفة .

القديس سلوان الآثوسي.

«أيُّها الرَّبُّ وسيِّد حياتي أَعتقني من روح البطالة والفضول، وحبّ الرئاسةِ والكلام البطَّال، وأنعِم عليَّ أنا عبدك الخاطئ بروح العفَّة واتضاع الفكر والصبر والمحبة، نعم يا ملكي وإلهي هَبني أن أعرف ذنوبي وعيوبي وألَّا أدين إخوتي، فإنَّكَ المبارك إلى الأَبدِ، آمين.»

عن حُبِّ الرِّئاسة

ما هو روحُ حُبُّ الرِّئاسَةِ؟ هو الرَّغبة في التَفوُّق على الآخرين والسَّيطرة

عليهم، واحتلال المركز الأول. هذا الجهاد للتفوُّق دَمَّرَ رئيس الملائكة – رأس كل الملائكة – **وجعله الشيطان**، ما أخرجه من السماءِ. هذه الرَّغبة في السَّيطرة **أهلكت قورح وداثان وأبيرام** الذين حسدوا مجد موسى عندما قاد شعب إسرائيل عبر البريَّة إلى أرض كنعان؛ أرادوا الإطاحةَ به واغتصاب السُّلطة، فعاقبهم الرَّبُّ بإعدامٍ رهيب: **انفتحت الأرض وابتلعتهم مع عائلاتهم جميعًا**.

حُبُّ الرئاسة حرّك **كُلَّ الهراطقةِ** الذين رفعوا أنفسهم فوق كنيسة المسيح. لقد أرادوا أن يضعوا أنفسهم مكان القائم في الكنيسة، أو أرادوا أنْ يُصبحوا قادة في الكنيسة. حُبُّ الرِّئاسةِ حرَّكَ كُلَّ الناس الذين هزُّوا العالم بانتفاضاتهم الوطنيَّة. لقد كان هناك كُتَّاب ذوو **أفكار فاسدة أفسدوا** أجيالًا كاملة.

أدان الرَّبّ يسوع المسيح حُبَّ الرِّئاسَةِ – الشغف بالحُكم – في عظته ضِدَّ **الكتبة والفريسيِّين المنافقين**. لقد أدان شَغَفَهُم بأنْ يكونوا الأوائل، ورغبتهم في أنْ يُقدَّمُوا في المجالس ليتلقَّوْا التحيات التي تليق بقادة الشَّعب. لقد حكم عليهم الرَّبّ إذْ قال لتلاميذِهِ، ومن خلالهم لنا جميعًا: «إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ أَوَّلًا فَيَكُونُ آخِرَ الْكُلِّ وَخَادِمًا لِلْكُلِّ». (مرقس ٩:٣٥). إنَّ هذا يتناقض مع حُبِّ الرِّئاسَةِ، إذْ يأمُر بألَّا يسعى الإنسان إلى منصبٍ رفيع، بل إلى المصفِّ الأخير، إلى أنْ يكون خادمًا للجميع.

إنكم ترَوْن كيف أنَّ حُبَّ الرِّئاسَةِ هو شغفٌ بامتلاكِ التأثير، شغفٌ باحتلال المركز الأول، وكيف أنَّهُ يتعارض مع روح الإنجيل وروح التواضع. أنَّهُ يتملَّك الجميع، وما من أحدٍ ينجو من الإصابة به – حتى الأطفال الصِّغار. نحن نعلم كيف يحدث ذلك عندما يلعب الأطفال: سيبرز طفلٌ صغير، ويبدأ في القيادة، ثم يأمر الجميع، ويكون مستعدًا للدخول في عِراك إذا جادل أحدهم أوليَّته في القيادةِ.

حتى بين النُسّاك، حتى في الأديار، حيث لا ينبغي أنْ يكون هناك تعسُّف، حيث يجب على الجميع أنْ يتذكَّروا الوصيَّة بأنْ يكونوا خادمين للكُلِّ، حتى هناك يتحكَّم حُبُّ الرِّئاسَةِ بالناس، وإنْ يكن ذلك بشكل خفيّ. أمام الناس، لا يسعون إلى الأوَّليَّة، ولكن بالصِّيام المفرط والسَّهر يحاولون التفوُّق على الجميع.

في الحياة الدُنيويَّة، يسيطر هذا الهوى على الجميع: الكُلُّ يسعى إلى أعلى منصب، ويتوقُ إلى التشجيع، ويريد الشَّرف. الكثير من الآباء يغرسون في أطفالهم الطموح والشَّغف بالتفوُّق، ويحاولون جعلهم يشغلون أعلى المناصب في الحياةِ، وبالتالي يُفسدون أبناءهم.

أليس من الضروري أنْ نفهم أنَّ أعلى منصبٍ هو نصيب القلائل، وأنَّهُ لا يمكن للجميع أنْ يتفوَّقُوا، ولا أنْ يحتلُّوا مكانةً رفيعةً. في الواقع، إنَّهُ نصيب الأشخاص الاستثنائيين الذين ميّزهم الله. الكثيرون يسعون لشَغل مثل هذا المنصب الاجتماعي، ولا يُوفِّرون أيَّ وسيلةٍ لتحقيقِ هذا الهدف، ويستخدمون العُلاقات، يتزلَّفون، يخدِمون، ويفعلون أيَّ شيءٍ لتحقيق هدفهم، واحتلالِ مكانة عالية في المجتمع، ليصبحوا من بين الذين في السُّلطة.

غالبًا ما يعاقبهم الرَّبّ: ينتهي شغفهم التَّعيس بالفَشَلِ، يُصابُون بالمرارَةِ، ويرفُضون العمل العام، فَيلِجُون دائرة الأسرة وينعزلون في الحياةِ الأُسَرِيَّةِ. لكن الكبرياء تُعذِّبهم حتى هنا، ويعذبون عائلاتهم، ويعذبون جيرانهم، ولا سلام في أرواحهم.

هذه هي ثمار حُبِّ الرِّئاسَةِ، لذلك، يطلب القديس أفرام من الله، في صلاته العظيمة، أنْ يُنقِذَهُ **مِنْ روحِ حُبِّ الرِّئاسَةِ الفاسدة**، المناقضة جدًّا للتواضعِ الذي بدونِهِ يستحيل اتخاذَ خطوةٍ واحدةٍ في الحياةِ المسيحيَّة.

إذا كان الأمرُ كذلك، إذا لم يكن من الضروري السَّعي للحصولِ على أعلى مرتَبَةٍ، والسَّعي إلى الأوَّليَّة، فكيف يمكننا أنْ نقول إنَّهُ لا ينبغي لنا أنْ نسعى للارتقاء والسَّعي إلى أعلى كرامةٍ، ولكن فقط الكرامة العُليا غير الفانية والتي لا تُقدَّر بقيمة، تلك الكرامة العظيمة في عيني الله. إنَّ الطريق إلى الكرامةِ قد كُشفَت لنا جميعًا، ما من شيء يضاهيها رِفْعَةً، ولا يمكن مقارنتها بإنجازات أرضيَّة ولا شرف. إنَّ الطريق إلى ملكوت الله قد كُشفَت لنا، ومعناها أنَّهُ يمكننا أنْ نكون أصدقاء الله، أبناء الله. إنَّنا نبلغ هذا الهدف فقط بالسَّعي لتحقيق جميع وصايا المسيح. لا ينبغي أنْ يُحرجَنا أنْ نوُضَع في مكانة مُتَدَنِّيَةٍ وغير ملحوظة في المجتمع، بل يجب أنْ نتذكَّر أنَّ الرَّبّ يعرف كيف يقودنا إلى طريقٍ واسع للغايةِ عندما لا ننتظر المجد الأرضي ولا نسعى جاهدين منْ أجله.

غالبًا ما يعطي الرَّبّ هذا المجد مُضافًا إلى جهودنا وإرادتنا. يهرب المجد ممن يسعون إليه ويشتهونه، فيما يجد الذين يهربون منه. إنَّ المجد الحقيقي، المجد الذي منَ الله، يُعْطَى للذين لا يسعون وراءه.

مِنَ الضروري، دون أنْ تفكِّروا في التَّسلُّط على الناس، أنْ تتعمَّقوا في كيفيَّة تنمية قُدراتكم ومواهبكم التي منحكم إياها الله؛ أنْ تخوضوا بتواضعٍ وهدوء في تطوير قُدراتكم الذَّاتيَّة في صمتٍ وتجاهلٍ للعالم. وقد يحدث أنْ يرفعكم الرَّبّ، كما حدث أكثر مِنْ مرَّة حين رفع أشخاصًا إلى أعالي المجد التي لا يمكن بلوغها.

نعرفُ العديدَ مِنَ الأمثلةِ مِنْ تاريخ العلم والفلسفة ومِنْ حياة العلماءِ البارزين الذين قضوا حياتهم في الفقرِ، في جهل العالم، حتى أنَّهم تعرَّضوا للاضطهادِ والنَّبذ، وكانوا على تناقضٍ تام مع ما كان الناس المصابون بحبِّ الرِّئاسَةِ يبحثون عنه؛ في صمتٍ، في فقرٍ، في عُزلَةٍ، انكبُّوا على وظائفِ العلمِ والفلسفة وعَمِلُوا أفعالًا مجَّدتهم في تاريخ البشريَّة، وجعلتهم نجومًا لامعة لتقدُّم البشريَّة.

تذكَّروا أنَّ الرَّبّ يعرف كيف يُميِّز الناس، ويُميز الأعمال البشريَّة التي تتمُّ بحسب وصيَّة المسيح: «إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ أَوَّلًا فَيَكُونُ آخِرَ الْكُلِّ وَخَادِمًا لِلْكُلِّ». (مرقس ٩:٣٥). صلُّوا مع القديس أفرام السوري للخلاصِ من رذيلة حُبِّ الرئاسة. وليُعتقْكم الرَّبّ يسوع المسيح جميعكم من هذه الرذيلة. آمين.

(يتبع)

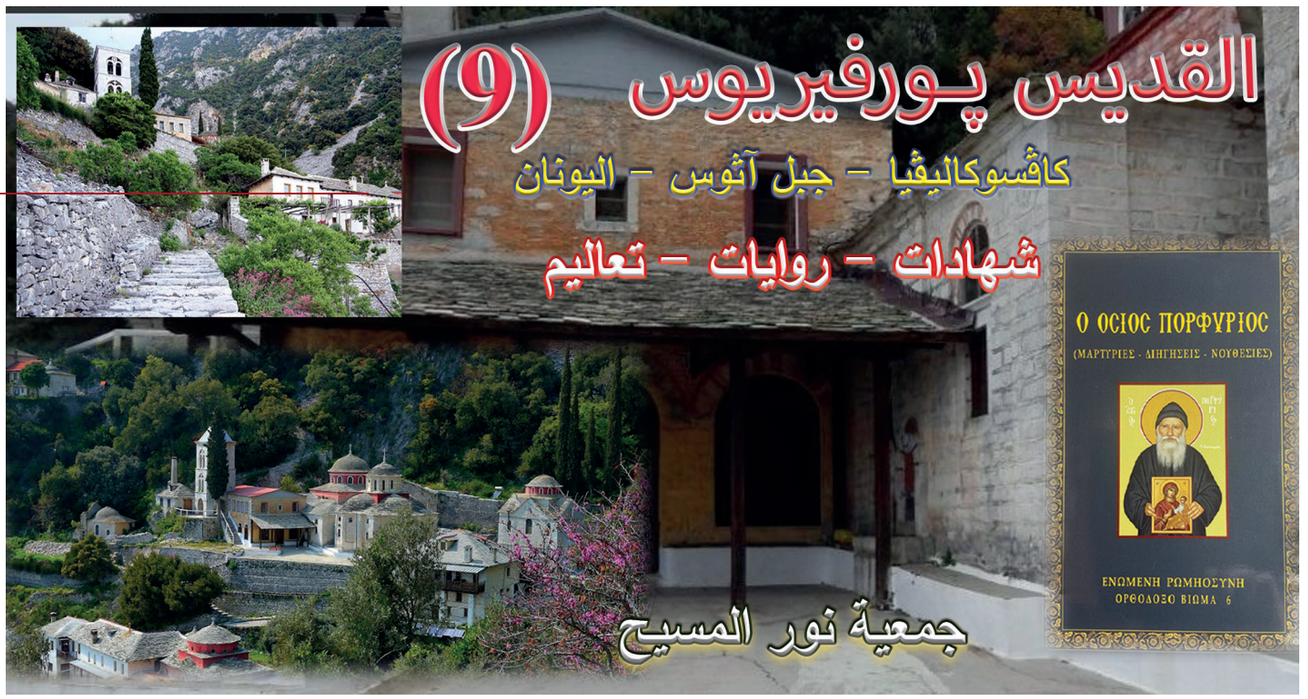

الجزء الأول: شهادات عن القديس

خبرات روحِيَّة مع القدِّيس پورفيريوس وعجائب له

شهادات المتوحِّدة ستيليانى، رئيسة دير الضابط الكلّ (باندوكراتور):

الفتاة واختبار الرهبنة :

وفَدَت إلى ديرنا العامر دير الضابط الكُلّ، فتاةٌ مبتدئة تجتاز مرحلة اختبار في الرهبنة لكي نقوم بمساعدتها قدر الإمكان. كانت هذه الشابة تعاني من اضطرابات وامراض نفسيَّة، كانت تلتزم الصَّمت، وتقوم بحركاتٍ غريبة وعجيبة وغير طبيعيَّة، رغم كُلِّ هذا فقد احتَضَنَّاها بملء المحبَّة، وَأَمَّنَا لها مَسكنًا في إحدى قلالي الدير، وما أنْ دخلت القلاية وانفردت فيها، بدأت للتَوِّ بضرب رأسها في الحائط، مع حركاتٍ غريبة للتكفيرِ عن الذنوب وكأنها تستنجد التوبة. خفتُ جدًّا من هذا المنظر الغريب والعجيب، جلبتُ المبخرة واشعلتُ الفحم ووضعتُ البخور، وبدأت استغيث، وأصرخ في داخلي بصمتٍ عميق: يا يسوع المسيح، يا مسيحي، ساعدني... يا كليَّة القداسة اسرعي لإنقاذنا ... أيها الشيخ پورفيريوس ساعدني ... كلُّ هذه الطلبات كانت من داخل نفسي، وبدون أيِّ صوت مسموع ... ماذا سأفعل ؟

قرعَ الهاتف، وكان الشيخ القديس پورفيريوس، فقال لي: «هيَّا، لماذا تصرخين، ماذا تُريدين»، (يا لها من نعمة إلهيَّة، لقد سمع ما في داخلي بدون أن أنطق).

فقلتُ له: جاءت شابة إلى ديرنا، الخ ... وحدَّثته بكل التفاصيل وماذا حدث معها، وكيف نستطيع مساعدة هذه الفتاة في ظلِّ هذه الظروف الصَّعبة التي تمرُّ بها، وفعلًا، أرشدني وأعطاني ما يجب فعله من خطواتٍ للعناية بها، وفي النهاية قال لي: «وعندما سأذهب إلى فوق – أي بعد موته وانتقاله من العالم – رجاءً: لا تصرُخي، وأنا سوف أسمعك، ولكن بدون صراخ. هل سمعتِ وفَهِمتِ ما قُلتُهُ لَكِ ».

كان الشيخ پورفيريوس يُخبرنا بما يلي: عندما اشترى المساحة (قطعة الأرض) في ميليسي، كان اهتمامه كبيرًا بالمساحة المحيطة بالدير، وكان يتمنَّى أن يشتريها أناسٌ أتقياء يسلكون طريق الرَّبّ، حتى لا تواجِه الأخوات الراهبات مشاكل في المستقبل لاحقًا.

لقد أحببنا الشيخ كثيرًا، وغالبًا ما كُنَّا نذهب لزيارته ورؤيته ولأخذ البركة منه، ومرَّاتٍ كثيرة كُنَّ نقوم بما يُشبه النزهةِ في الطبيعة، فنَلِجُ داخل السيارة بأكبر عددٍ ممكن من الأخوات الراهبات، لنُخيِّمَ في إحدى الحقول، وبالضبطِ مقابل الدير، دير ميليسي، حيثُ يتواجد الشيخ لنحظَى بالبركات والأدعية الأبويَّةِ منه.

في إحدى الأيام، أشار إليَّ الشيخ أنَّهُ يريد شراء قطعة أرض أُخرى، حيث يتواجد فيها الماء غزيرًا وبوفرة، ولأنَّ هذه القطعة كانت مكانًا مقدَّسًا، وللأسف لم يستطع الحصول هذه القطعة المميَّزة والفريدة، ولهذا اضطرَّ لشراء قطعة الأرض حيث يسكن فيها الآن.

وفي إحدى زياراتنا لنفس المكان الذي خَيَّمنا فيه، اقتربَ منَّا رجُلٌ واخبرنا أنَّه يُريد بيع هذا العقار (قطعة الأرض) خاصَّته، بسبب أنَّهُ في حاجةٍ ماسَّةٍ للنقود، مقابل ثمنٍ منخفض.

في الواقع، قام بمساعدتنا بعض الأشخاص الأفاضل من الناحية الماديَّة لنحصل على هذه القطعة، وفي النهاية فعلًا قمنا بشرائها.

ومع ذلك لم أُخبر الشيخ بتاتًا بخصوص شراء قطعة الأرض هذه. وفي إحدى الأيام ذهبنا أولًا لنتفَقَّد الأرض، ومن ثمَّ ذهبنا إلى الشيخ لنحصل على بَرَكَتِهِ.

وبعدما أخذت الأخوات الراهبات البركة من الشيخ، قال لي:-

ـ أَغلِقي الباب،... مِنْ أينَ أتيتِ ؟

ـ من هنا من أسفل. (قلتُ وأشرتُ بغموض بواسطة يدي نحو الطريق من الأسفل).

ـ من أينَ أتيتِ ... ؟ سألني ثانيةً شيخنا الوقور.

ـ من هنا من أسفل، جاوبته ثانية، والخوف قد تملَّكني.

ـ إنَّها قطعةٌ كبيرة؟ وهو يستعين بيده، مشيرًا بها ليُبيِّن لي حجمها.

ـ مساحتها دونمان، أيُّها الشيخ، هكذا اعترفت له.

ـ إيي يا طفلتي، هذا هو بالفعلِ ما أردتُ، كان متواجد في قطعة الأرض هذه، دير قديم، قلالي للنُساكِ، قداسة، هذا المكان في السنوات القديمة كان يُدعى «**كليزا فرونچا**». كيفَ حصَلتِ عليها ؟.

ـ إنها عطيَّة من الله ، أيها الشيخ.

ـ أردتُ شراء القطعة في منطقة **داوو پانتيلي، دير الضابط الكُل**، لكن أنتِ أخذتِهِ منِّي. الأرض حيثُ «**كليزا فرونچا**» أردتُ شراءها أيضًا، لكن أنتِ أخذتِهِ منِّي أيضًا.

يا طفلتي، ما الذي يحدث معك ؟!

قال لي الشيخ پورفيريوس ذات مرَّةٍ: أنَّ كُلّ ما يريده في ديره أن يجمع الرَّاهبات الفاضلات اللواتي يتمتَّعنَ بالمبادىء الأخلاقيَّة الرَّاقية، وَيَعِشْنَ بموجبها، راهبات تتوافق سيرة حياتهن مع الحياة الحقيقيَّة التي لا تحتوي على أكاذيب ولا نفاق، بل حياة التقوى والبِرّ، راهبات بعيداتٍ كُلّ البُعدِ عن الحسد والغيرة والنميمة، والتفاهةِ والأنانيَّة التي عادةً ما تُصيب النساء حيثُ تُسيطر عليهِنَّ هذه الرذائل. أريدُ من الراهبات أنْ يمتلكن في ذواتهنَّ وفي داخلِهِنَّ **المسيح فقط**. أراد الشيخ بالإضافة إلى عمل الخدمات الإلهيَّة والصلاة، أن يَتَقَيَّدْنَ بهذه

التوصيات وهذه الترتيبات، وأيضًا أن تكونَ لهنَّ غذاءً يوميًّا ، لأنَّه الطعام الرُّوحي الذي يُنَمِّي مسيرتهنَّ الرهبانيَّة؛ لقد آمنَ كيفَ يتقدَّس الإنسان من خلال قراءة ومطالعة أقوال آباء الكنيسة أمثال: **القديس يوحنا الذهبيّ الفم، وباسيليوس الكبير، وغريغوريوس اللاهوتي، وأثناسيوس وكيرلُّس بطالركة الإسكندرية وغيرهم من الآباء العظام.**

قال لي: أنا أُريدُكِ هنا في الدير (دير ميليسي)، لأنِّي سوفَ أُساعدُكِ كثيرًا. ومع ذلك هذا صعبٌ وغير ممكن بسبب الأسقف. لكنك تستطيعين على الأقل، إرسال راهبتين إلى هنا، لكي نبدأ بتجهيز الدير على أساس روحي متين وقويّ. وأنتِ ستأتين إلى هنا (ستيليانى) من يوم الاثنين لغاية يوم الجمعة لمساعدتهن (للراهبتين)، وترجعين يومي السبت والأحد إلى ديرك العامر دير الضابط الكُلّ .....

أُتركي هذا الموضوع، وسوف نرى، ماذا يمكن أن نعمل.

انظري ... إنَّهنَّ يغارون منكِ بسبب أَنِّي أُحبِّك حُبًّا أبَوِيًّا! يا ابنتي، تعرفين لماذا أُحبِّكِ، أُحبِّكِ لأنَّكِ تحبين الله، ولأنَّكِ أعطيتِ حبًّا واهتمامًا وعطاءً عظيمًا للعالم، ولأنَّكِ فَرِحَةٌ ومبتهجة بالرهبنة.

نادرًا ما تكون حياتنا الرُّوحيَّة مُمهَّدةً وهادئةً وساكنةً لمدةٍ طويلةٍ من الزَّمن. الظُّروف والأفكار وحتى الطقس – كُلُّ ذلك يمكنه بسهولةٍ أنْ يُظلم نفوسنا، أو على عكس ذلك وبشكلٍ غير متوقعٍ، أنْ يُسعِدها. كيف يمكننا عيش حياةٍ روحيَّةٍ فيما الإنسانُ غير مستقرٍ جدًّا؟

تحدَّث **المتروبوليت أثناسيوس مطران الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة القبرصيَّة، ليماسول**، عن هذا في لقاءٍ مع الشَّباب.

جميع الأفكار التي تؤثِّر في حالة النَّفس تأتي إمَّا **من الله** (فتُحدِث تغييرات جيِّدة) أو **من الشيطان** (فتحدث تغييرات سيِّئة)، أو من

الإنسان نفسه (جيِّدة وسيئة). نعرف الأفكار الجيِّدة من ثمارها. إذا أصبحنا أكثر تواضعًا، ومُصلِّين أكثر، وأكثر وداعةً وصبرًا ودفئًا ونُبلًا وحساسيَّةً، فإنَّ ذلك نتيجة فِكْرٍ صالح. ولكن ماذا علينا أنْ نفعل إذا لم تكن جميع تغيراتنا صالحة؟.

يمنعنا الفكر الشِّرير من التفكير منطقيًّا:

يُؤثر الإنسان نفسه أيضًا في عالمه الرُّوحي، مُنتجًا أفكارًا جيِّدة أو سيِّئة، بحسب «آلِيَّتِهِ» الدَّاخليَّة وفيما إذا كانت مضبوطة بشكلٍ صحيح أم لا.

سأضرب لكم مثلًا من الإنجيل:

حين أتت الزَّانية إلى المنزل ومسحت قدميّ المسيح بالطِّيبِ، كان العديد من التلاميذ ساخطين، **وخاصَّة يهوذا الإسخريوطي**، الذي كان مُحبًّا للمال. بدأ يقول: «لماذا تهدر هذه المرأة هذا الطيب الغالي الثمن بلا طائل لتمسح قدميّ المسيح؟». الفكر السَّيِّء كانَ أنَّها تهدر الطيب. ولكنْ يقول الإنجيل لاحقًا إنَّهُ لم يكن يكترث لأمر الفقراء، بل كان بكلِّ بساطة جشعًا وأراد الحصول على مالِ هذا الطيب ووضعِهِ في صندوق المال، ومن ثم استخدامه لأغراضِهِ الشخصيَّة.

غالبًا ما يسألني الناس لمَ لدينا كل هذا الترَّف في الكنيسة؟ ولكنْ أروني ما هو الأمر المُترف الذي لدينا. إذا شئتم اقطعوا لأنفسكم قطعةً من حامل الشَّمع وخذوها إلى المنزل وبيعوها وتقاضوا المال. ألَا ترون أنها برونزيَّة؟ كما ترون، فالفكر السَّيِّء لا يَدع الإنسان حتى يُفكرَ بشكل منطقي.

أو يعطي أحدُهم صدقة، يُقدِّم 5 يورو ويبدأ بالتفكير: «ربما هذا ليس ضروريًّا. ما هي الـ 5 يورو؟ هل سيغتني الشحاذ منها؟ لا بُدَّ وأن ذلك احتيال». ربما يكون الأمر كذلك، ولكنه مباشرةً يثير فكرًا سيئًا يُحَرِّفُ النَّفس تجاه الشَّر، جاعلًا إيَّاها **عنيدة ومقاومة للنعمة**.

يحصل **أنْ تأتي الأفكار الشَّريرة من الشَّياطين**. ومع ذلك، فإنَّ هنالك تغييراتٍ فيزيولوجيَّة صرفة أيضًا. إنَّك تفكِّر بشكلٍ مختلف في الصباح، خلال النهار، مساءً، وبعد منتصف الليل. تفكر بشكلٍ مختلف في الظلام وفي النور، حين يكون يومًا كئيبًا، حين تهب ريح جنوبيَّة، أو حين يكون يومًا مُشمسًا. يلاحظ الكثيرون أنَّ الناس يكونون في مزاجٍ أفضل في الأيام المشمسة، وحين تكون برفقة أناسٍ فرحين وشاكرين فإنَّك تبتهج معهم.

ما العمل حين تكون النَّفس «مغمومة»؟

لماذا درس الآباء القديسون كُلَّ هذا؟ ليعرفوا متى تكون هناك معركة روحيَّة حقيقيَّة دائرة، ومتى مِنَ الممكن تجاهل التغييرات الداخليَّة. يخبروننا أمرًا رئيسيًّا واحدًا: علينا تَعَلُّم التعامل مع ما يجري معنا (*manage*) (يقصد: كيفيّة التصرَّف والمواجهة ومعالجة الأمور). حين تكون نفسي مغمومة، مِنَ المُهِمِّ ألَّا أسمح لنفسي بالاكتئاب، وألَّا أبدأ بالتَّحدث بقسوةٍ وبشكلٍ هجومي وبعصبيَّة، أو أنْ أبتعد ولا أقبل شخصًا آخر.

أيًّا تكن التغييرات التي تطرأ في نُفوسنا، علينا أنْ نحافظ على روتين الحياة الروحيَّة ونكون هادئين في تعاملاتنا مع الآخرين. إنَّ الإنسان مخلوق على صورة الله، «إنَّهُ حسنٌ جدًّا»، ومدعوٌ ليكون مثل «أبينا ﴿السماوي﴾». وبقيَّة ما يحدث معنا – السُّلوك السَّيِّء والعصبيَّة والكلمات السَّيئة والبذاءة – ليست ذواتنا الحقيقيَّة.

ما الذي يتطلبه التغيير نحو الأفضل؟

من المهمِ أنْ نَتعلَّم كيف نتصرَّف بطريقةٍ لا تُؤذي الآخرين، ولا نتحدَّث باستخفافٍ، ولا نكسل، وأن نحافظ على طريقة حياتنا مَهْمَا جرى. الدِّقة في تتميم قانون صلاتنا يساعد في ذلك. دعونا لا نقول **صبيحة الأحد**: «لسببٍ ما، لست في مزاج جيد. لن أذهب إلى الكنيسة اليوم». **إذْهَبْ**، سواء كنتَ في مزاجٍ جيِّد أم لا. حتى ولو بدأ ذهننا بالتفكير: «إلى أين أنت ذاهب؟ سوف تغطُّ في النوم هناك. أنت مليء بالأفكار، في داخلك أفكار سيِّئة. لا تذهب!» – علينا ألَّا نتراجع ونغير قانوننا ﴿الرُّوحيّ أو قانون الصلاة﴾ بسبب تغيُّر نَزْعَتِنَا النفسيَّة ﴿**مزاجنا**﴾.

كيف نتعامل مع الأفكار السيئة، وهل علينا تقريع أنفسنا عليها؟

من الأفضلِ قطع الأفكار السَّيئة مباشرةً وعدم الخوضِ فيها. إنَّها كصندوقِ قُمَامَةٍ؛ من الأفضل أنْ ترميها مباشرةً لئلَّا تتلوَّث بها. بالنسبة للسؤالِ حول ما إذا كان يجب تبكيت أنفسنا لأجل الأفكار السَّيئة، فإنَّنا بحاجةٍ إلى تمييز هذه الأفكار. إذا كان بإمكانك تحمُّل ذلك، فهذا جيِّد؛ **الآباء القديسون فعلوا ذلك**. وأما بالنسبة للشُّبان، فمن الأفضلِ لك حفظ نفسك في المحبة والامتنان. إنَّنا بحاجة لتمييز جيِّد أيضًا، **وأبٍ روحيٍّ جيِّد**، وإلَّا فمن السَّهلِ الوقوعُ في اليأسِ.

إذا كنَّا مفرطي الحساسيَّة، ونُدينُ ونوبخ أنفسنا، عندها سنبدأ نكتئب أو نيأس. وبما أنَّهُ من السَّهل الوقوع في اليأس في زمننا، فمن الأفضل ألَّا نقحم أنفسنا في ذلك.

إنَّ موهبة التوبة مع الدموع، والتي حازها القديسون، تأتي من العمل الرُّوحيّ، وليس من توبيخ الذَّات. **دموع التوبة هي المرحلة الأولى، وبعدها تصبح دموع محبة!**

العمل الرُّوحي ولوم الذَّات مهمان، ولكن الإنسان المعافَى هو من يمكنه القيام بذلك. ولكن إذا كان الإنسان ضعيفًا روحيًّا وعقليًّا، وَمَنْ لديه أعصاب ضعيفة، لن يتمكن من تحمل ذلك، سيصبح قانطًا وفاقدًا الأمل.

لهذا قال **السيِّد المسيح للقديس سلوان الأثوسي: «احفظ ذهنك في الجحيم ولا تيأس»**.

أيقونة السَّيدة المُنَجِّية من الأفكار الشِّريرة مكتوب عليها: **«إفرحي يا بحرًا غَرَّقَ فِرعونَ العقليّ»**.

(البيت الـ ١١ من خدمة المديح).

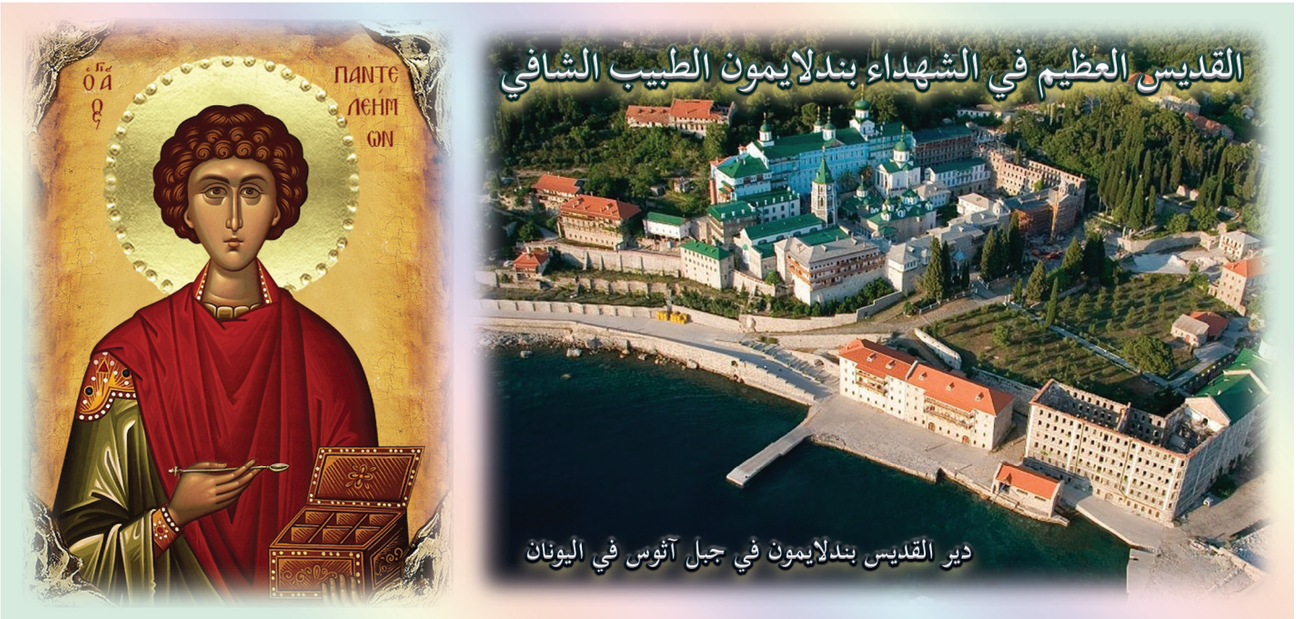

القديس العظيم في الشهداء بندلايمون (القرن 4/3 م) – 27 تموز غربي (9 آب شرقي)

وُلِدَ **القديس الشهيد المجيد بندلايمون** في نيقوميذية، العاصمة الشرقيَّة للأمبراطورية الرومانيَّة سنة ٢٧١م. كان أبوه يُدعى **أيفستورغيوس** وهو أحد أعضاء المشيخة الوثنيِّين، وأُمُّه تُدعى **أيفيولي** وكانت مسيحيَّة تقيَّة. لم يكن اسمه **بندلايمون** بل **بنتولاون**. **بندلايمون** هو الاسم الذي أعطي له من فوق فيما بعد، لما كان على وَشَكِ أنْ يكابد ميتة الشَّهادة. ومعنى هذا الاسم – **بندلايمون** – هو «**الكثير الرحمة**» لأنَّ **الرَّبَّ الاله** أراد أنْ يكون كثير الرَّحمة مِن جهةِ الذين يستشفعون بِصَفِيِّة.

القديس طبيبًا :

كُلِّفَ بأمر **بنتولاون** طبيبٌ مشهورٌ في ذلك الزمان، اسمه **أفروسينوس** ليعتني بتعليمه. وقد تمكَّن قديسنا في فترةٍ قصيرةٍ من الاحاطةِ بشكلٍ ممتاز بفن الطبِّ، حتى عَزَمَ **الأمبراطور مكسيمانوس** الذي لاحظه، **على اتخاذه طبيبًا شخصيًّا له في القصر متى اشتدَّ عودة واكتمل اعداده**. واذ كان الشَّاب يمرُّ كل يومٍ أمام منزل **القديس هرمولاوس** (يُعيَّد له بتاريخ ٢٦ تموز، شرقي) عَرَفَ **الكاهن القديس** من مُحيَّاهُ أيَّ نفسٍ يكتنز. فدعاه اليه يومًا ولفته الى أنَّهُ لا طاقة لعلم الطِّب على مَدِّ الطبيعة البشريَّة المتألمة والخاضعة للموت إلَّا بتعزية طفيفة. وكشفَ له مِنْ ثَمَّ أنَّ **المسيح** وحده الطَّبيب الحقَّاني الوحيد، أتانا بالخلاص من دون علاجات وعلى نحو مجاني. ارتقصَ قلبُ الشَّاب فَرحًا لسماعهِ هذا الكلام وشرع يتردَّد بانتظام، على **القديس هرمولاوس** ليتعلم منه السِّر العظيم للايمان.

فدعا باسم يسوع :

وذاتَ يومٍ، اذ كان عائدًا من عند **معلمه أفروسينوس**، وجدَ في الطريق ولدًا مَيْتًا لدغته حيَّة. للحالِ اعتبر أنَّهُ آن الأوان له ليضعَ ما كلَّمه به **القديس هرمولاوس** موضع التنفيذ، فدعا باسم **يسوع**. للحالِ قام الولد وهلكت الحيَّة. فاسرع اذ ذاك الى **هرمولاوس** وكلُّه فرح، وطلب **المعمودية المقدسة** دون ابطاء. ثم أنَّهُ لازم **الشَّيخ** وَنَعِمَ بتعليمه، ولم يَعُد الى خاصته إلَّا في اليوم الثامن. سألَهُ أبوه، وقد قَلِقَ عليه: أين كان، فأجاب: في القصر مُنشغلًا بابراءِ قريبٍ للأمبراطور. لم يشأ أنْ يكشف سِّر هدايته سريعًا لأنَّهُ كان حريصًا على اقناعِ أبيه **ببطلان الأصنام**.

الأعمى الذي شفاه :

وجيء بعد حين الى **أيفستورغيوس** (والد **بنتولاون**) بأعمى توسَّل الى **بنتولاون** أنْ يشفيه لأنَّهُ بَدَّدَ ثروته عبثًا، على بقيَّة الأطباء. واذْ كان قديسنا واثقًا من **مسيحِهِ**، المقيم فيه بقوَّة، أكَّدَ أمام أبيه أنَّهُ سوف يَشفي الأعمى بنعمةِ مُعلِّمه. قال هذا ورسم اشارة الصليب على عينيِّ الأعمى، داعيًا باسم **المسيح**. للحالِ استعاد الرَّجلُ البصَر، وليس فقط من جهة عينيه الجسديَّتين بل من جهة عينيِّ نفسه أيضًا، لأنَّهُ أدرك أنَّ **المسيح** هو الذي شفاه. وقد جرت عُمَّادَةُ كُلٍّ من الذي كان أعمى فأبصر، وأيفستورغيوس والد بنتولاون، الذي ما لبث أنْ رَقَدَ بسلامٍ.

حسد أطباء نيقوميذية :

وزَّعَ **بنتولاون** ميراثه على المحتاجين وَحَرَّر عبيده وأعتقهم، وانكبَّ بِغيرةٍ مضاعفة على العناية بالمرضى الذين لم يكن يطلب منهم سوى أنْ يُؤمنوا **بالمسيح** الآتي الى الأرض شافيًا كُلَّ علَّةٍ. بقية أطباء نيقوميذية **حسدوا بنتولاون**. واذ اعتنى هو بمسيحيّ تعرَّض للتعذيبِ **بأمر الأمبراطور**، انتهزَ **حُسَّادُهُ** الفرصة **ووشوا به لدى مكسيميانوس**. أحزَنَ الأمر الملك فاستدعى الذي كان أعمى واستجوبه في كيفيَّة اسْتِرْدَادِهِ البصر. فأجاب: أنَّ **بنتولاون** استدعى اسم **المسيح** فعادَ اليه بصرُهُ وآمن. هذا **أسخط الأمبراطور**. للحالِ أمَر بقطعِ رأسِهِ، وارسل

في طلب **بنتولاون**. فلما وقف **بنتولاون** أمامه أتّهمه **الملك** بالتفريط بالثِّقةِ التي أولاهُ إيَّاها وبالاساءَةِ إلى **اسكلابيوس وبقية الآلهة** لإيمانِهِ **بالمسيح**، وهو انسانٌ ماتَ مصلوبًا. أجابَ **بنتولاون**: «أنَّ الايمانَ والتَّقوى من جهةِ الاله الحقّ، أسمى من كُلِّ غنى هذا العالم الباطل وكراماته». ولكي يثبت أقواله بالأفعال، اقترح على **مكسيميانوس** أنْ يجرِّبَهُ. فجيءَ بمخلعٍ جعلَ عليه كهنة الأوثان رُقَيات وتعاويذ من أباطيلهم، لكي لا يستطيع **بنتولاون** أنْ يشفيه. فسخر منهم **بنتولاون**. واذْ ذهبت جهودهم أدراج الرِّياحِ، رفع **بنتولاون** صلاته الى **الله**، ثم أخذ المخلع بيدهِ **وأقامه باسم المسيح**. الوثنيُّون الحاضرون، لمَّا رأوا الرجل يطفُر فرحًا آمن منهم العديدون **بالاله الحقِّ**، فيما سعى **كهنة الأوثان لدى الأمبراطور**، الى التخلُّص من هذا **الغريم الخطر**.

عذاباته و قطع رأسه :

ذَكَّرَ **مكسيميانوس** قديس **الله** **بنتولاون** بالعذابات الموقعة، منذ بعض الوقت، على **القديس أنثموس** أُسقف نيقوميذية المعيَّد له في ٣ أيلول شرقي. أجاب **بنتولاون**: أنَّهُ اذا كان شيخٌ قد أَبْدَى شَجَاعَةً هذا مقدارها، فبالأَولى يَقْوَى الشُّبان المؤمنون في **التجربة**. لا الاطراءات ولا التهديدات زحزحت **بنتولاون** عن عزمه. إذْ ذاكَ اسلَمَهُ الطَّاغِيَةُ الى التعذيب. أُوثِقَ الى قائمةٍ وَمُزِّقَ جنباه بأظافرٍ من حديد، ثم كويت جراحه بالنَّار، فكان له **الرَّبّ يسوع** معينًا. تَعرَّضَ لأنواعٍ شَتَّى من التعذيب وأُلْقِيَ للوحوشِ فلم تَمَسَّهُ بأذى. سأله **مكسيميانوس** مَنِ الذي أتى به الى الايمان المسيحيّ فلم يتردَّد **بنتولاون** عن ذكر اسم **هرمولاوس** معلمه، إذْ كان قد تَلَقَّى كَشْفًا من **الله** أنَّ السَّاعة حانت لكليهما أنْ **يعترفا بالمسيح** ويتكمَّلا بالشَّهادة. فلما قَضَى هرمولاوس ورفيقاه إدَّعى **الأمبراطور**، وقد أحضر **بنتولاون** لديه، أنَّ الشُّهداء أَذْعَنُوا وَضَحَّوا للأصنام، فلم تَنْطَلِ الحيلةُ عليه بنعمةِ **اللهِ**. إذْ ذاك أَمَرَ **الملك** بقطع رأسه والقاء جسده في النار. في الطريق الى الموت أتى **بنتولاون** صوتٌ يقول له: « **يا خادمًا أمينًا، شهوة قلبك تُعطى الآن لكَ. ها هي أبواب السماء مفتوحة لك واكليلك مُعدٌّ. من الآن تصير ملجئًا للبائسين، وعونًا للمُجرَّبين، وطبيبًا للمرضى، وهلعًا للأبالسة. لذلك لا يُدعى اسمك بعد بنتولاون بل بندلايمون**». إثْرَ ذلك جرى قطعُ رأسِهِ. وقيل لم يسلِّمه الجنود للنَّارِ لأنَّهم كانوا قد **آمنوا بالمسيح**، بل الى جماعةٍ من المؤمنين الذين واروه الثَّرى بإكرامٍ في مُلكيَّة أمانتيوس المعلم. **ولم تزل تجري برفاته العجائب من ذلك الوقت الى اليوم.**

الابوليتيكية للقديس بندلايمون – على اللحن الثالث:

أيُّها القديس الظافر في الجهاد والطبيب الشَّافي بندلايمون. تشفَّع إلى الإله الرحيم أن يمنح غفران الزلَّات لنفوسنا.

قنداق للقديس بندلايمون باللحن الخامس:

لقد ظهرتَ شبيهًا بالرَّحومِ يا لابسَ الجهاد، وشهيدٌ للمسيح الإله، فقَبِلتَ منه نعمة الأشفية، فبوسائلك اشفِ أمراضنا النفسيَّة، وادحَض دائمًا شكوك المحارب، من الهاتفين بإيمانٍ: نَجِّنا يا رب وخلِّصنا.

أقوال مأثورة للقديس سلوان الآثوسي

إذا أصابتك شِدَّةٌ فقُلْ: إنَّ السَّيِّدَ يعرفُ قلبي، فإذا كان هذا ما يُرضيهِ، فكُلُّ شيءٍ سيكون حسنًا لي وللآخرين.

عندما تُصلِّي من اجل اعدائك، يحلُّ السَّلام فيكَ وعندما تحبُّ اعداءك، إعرف أنَّ نعمة عظيمة تسكن فيك؛ إذا اغضبَكُم احدٌ أو احزنكم أو احتقركم أو إذا أَخَذَ منكم ما تملكونه أو إذا اضَّطهد الكنيسة، فَصَلُّوا للَّسِّيد قائلين: ياسيِّد نحنُ كلُّنا خليقتك فأشفق على عبيدك وحوِّلهم إلى التوبة .

إنَّ **والدة الاله** هي بالحقيقة محامية عنَّا **أَمام الله**، فإنَّ لفظ اسمها يكفي لكي يُفرِّح النَّفس، وكُلُّ السماوات وكل الأرض يتهلَّلان لحُبِّهَا. أنت نورنا أيها **المسيح** فَأَضِيء نفوسَنا حتى نحبك بلا توقُّف.. علينا أنّ نحبَّ السَّيِّد بكُلِّ طاقتنا، **ووالدته الكليَّة النَّقاوَةِ حاميتنا**، والقدِّيسين

واكرامهم، إنَّهم يصلُّون لنا ويَحزنُون إذا تجاوزنا الوصايا الالهيَّة.

يا شعوب الأرض لا تتركوا أنفسكم تُسْحَقُون بِقَسْوةِ الحياة، صَارِعُوا فقط ضِدَّ الخطيئة، واطلبو معونة السَّيِّد وهو سيمنحكم إيَّاها لأنَّهُ رحومٌ ويحبنا.

إنَّ الذي يعرف كيف يتَّكل على المشيئة الالهيَّة، حتى لا يحزن من اي شيء، حتى لو كان مريضًا، أو فقيرًا، او مُضْطَهَدًا، لأنَّ النَّفس تعرف أنَّ السَّيِّد يهتم بها بِحُنُوٍّ؛ إنَّ العملَ الأَهَمُّ بالنسبةِ للانسان هو الاتكال على المشيئة الالهيَّة وَتَحمُّلِ التَّجارب برجاءٍ، وإذْ يرى **الرَّبُّ أَلَمَنَا**، لَنْ يُكَلِّفنا أَبَدًا اكثر من طاقتنا، وإنْ بانت آلامنا ثقيلة فهذه هي العلامة أنَّنَا غير متكلين بعد على المشيئة الالهيَّة.

في اللحظة التي يتوب فيها الانسان الرَّحوم توبةً صادقةً، يغفر له السَّيِّد كُلَّ الخطايا.

الله السرمدي

إنَّ الكلمتين: «أنا»، و «كائن»، تُعبِّران عن الكيان الإلهيّ والأبدي **ليسوع**، كما تعبِّران عن مساواته للآب. لقد كان **يسوع** موجودًا قبل أن يولَد إبراهيم، وقبل أن يوجَد الزَّمان. لا يوجد إلَّا شخصٌ واحد في كُلِّ الكون له صفة الأزليَّة، كما لا يوجد إلَّا شخصٌ واحد يسمو فوق حدود الزَّمن ويستطيع أنْ يقول دائمًا: «أنا كائن»؛ وهذا الشخص هو **الله**. إلَّا أنَّ **يسوع** يُعرِّف نفسه بهاتين الكلمتين **أنَّهُ الإله: الأبدي، اللازمني (السرمدي)، وغير المُتغيِّر.**

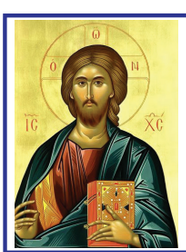

«أمَّا الزَّاني فإنَّهُ يُجْرِمُ إلى جَسَدِهِ» (كورنثوس الأولى ٦:١٨). إنَّ بوقَ مواعظ الرُّسل الهائل يُخطر الجند بكثير من قوانين الفضائل ليبعد الناس عن خطر الإهمال مضيفًا إلى ذلك المرسوم الحربي الآتي: «أُهْرُبُوا مِنَ الزِّنَا. كُلُّ خَطِيَّةٍ يَفْعَلُهَا الإِنْسَانُ هِيَ خَارِجَةٌ عَنِ الْجَسَدِ، أمَّا الزَّاني فإنَّهُ يُجْرِمُ إلى جَسَدِهِ.». إنَّ أبطالَ الحروب وقادتها يُتقنون الفنون الحربيَّة بمهارة، فتارةً يهجمون على الأعداء وتارةً يبتعدون عنهم هاربين. هكذا توجد حروب روحيَّة وفيها يطلب مِنَّا استعمال المهارة في الكَرِّ والفَرِّ. ولهذا، فالقديس بولس الرسول الخبير بأساليب الحرب الروحيَّة يقود جنوده ويُدرِّبهم على استعمال أنواع المهارة؛ فتارةً يحثُّهم على الثَّباتِ أثناء المعركة: «اهَضُوا إذن وَشُدُّوا أحْقَاءَكُم بالحقِّ» (أفسس ٦:١٤). وتارةً يأمر العدُوّ بالفرار: «أُهْرُبُوا مِنَ الزِّنَا» (١كور٦:١٨). فإنْ حصلت الحرب لعدم الإيمان، فالأنفع النهوض ضِدَّها. وإنْ هدَّدك العدو بمكرِهِ، فالأفضل أنْ تعمل ضدَّهُ مُضمرًا له المحبَّة، وإنْ صَوَّبَ نحوكَ سَهْمُ المذَمَّة فحارب كِذْبَهُ وَقِفْ إزاءَهُ وجهًا لوجه. وإنْ رسمَ بكلامهِ لكَ صورة الزِّنَا فأدِرْ له ظهرَكَ واهرب منه حتى لا تَلْتَقِيهِ، لأنَّ الزِّنا يُصَوِّب سِهَامَهُ إلى العين رأسًا. لذلك يجب أنْ تضع نُصْبَ عَينَيْكَ قول قائد جنود المسيح: «**اهربوا من الزِّنا لأنَّ الزِّنا نقيصة يجب الفرار منها أكثر من سواها**». إنَّ الخطيئة في غير الزِّنَا تُراعي الخاطئ وتحافظ عليه لأنَّ الفعل يقع على غيره، مثلًا في السَّرقةِ يقع الضَّرر على المسروق، وفي الذَّمِ والقَدْحِ فإنَّ الضَّرَرَ منها ينال المذمومين. وهكذا إذا أمعنَّا النَظر في أعمال الخطيئة نرى غالبًا أنَّ الربح ينال في الظاهر المعتدين. أمَّا الزِّنا فلا يعرف هذا التقييم ولا يفصل الجسد عن العمل. الزِّنَا يسبِّب الضَّرَر للإثنين معًا لأنَّهُ يدنّس الزَّاني والزَّانِيَة بالاتحاد بالزِّنَا، فالذي يُدنِّس جسد غيره يدنس نفسه أيضًا. قد لا يموت القاتل حينما يقتل غيره أمَّا الزَّاني فإنه يُعَدُّ دنِسًا أيضًا.

اهربوا من الزِّنَا يوصي الرَّسول المملوء حكمة. لأنَّ كُلَّ خطيئة يفعلها الإنسان هي خارج جسده. أمّا الزَّاني فيُجرِم إلى جسدهِ؛ وهو ليس كالقاتل الذي يجرِم إلى جسد غيره فقط ويحافظ على جسده، ولا كالطَّماع والسَّارق وغيرهما الذين يقصدون الضَّرَر بغيرهم ويحافظون على أجسادهم... يُقْدِم السَّارق على السرقة ليغذِّي جسده. أما الزَّاني فيسلب جسده ويضعفه ويدنِّسه. إنَّ مجدَ الآخرين يؤلِم الحسُود. أمَّا الزَّاني فَيَهْدِمُ جسده بيدهِ. كُلُّ خطيئة عارٌ لأنَّها تثلُم شرف النَّفس. أمَّا الزَّاني فهو عبدُ الخطيئة الأحمق، لأنَّهُ بإرادتِهِ يَدفن نفسه ويجمع كومًا من الأقذارِ حوله. أفليس من العَتْهِ أنْ يسير الإنسان بين الأقذار، وأنْ يدور حول ما يُشينُه وألَّا ينزع عنه الأطمار الوسخة البالية؟

إنَّ الزَّاني يُفصَل عن جسد الكنيسة المقدسة **ويَهْدِم نفسه بالفَسَادِ اليوميّ أي بملذاتِ الخطيئة ويتعرَّض للشيطان الذي طبع عليه نتانتَهُ وفساده.** إنَّ حالة الزَّاني الخارجيَّة لا تقلُّ رداءة عن حالته الداخليَّة فهو غَمٌّ لوالِدَيْهِ وعارٌ لأقربائِهِ وسخريَةٌ لأهلِ البيت، وموضوعٌ للهزءِ أمام الجيران ومدعاة احتقار الجميع. إنَّهم يهربون منه ويطردونه إذا رام الزواج، وإذا تزوَّج فهو زوجٌ مشبوه. لذلك أوصى الرسول بالفرار من الزِّنى.

إنَّ كلمات الرَّسول تُذَكِّرنا فورًا **بيوسف الفتى العفيف** الذي تمت له الغلبة والمجد بهربه من الزِّنَى المصري. أمورٌ كثيرة كانت تُغويه. السِّن الذي يقوى فيه حبّ الملذات، وغواية السَّيدة الجميلة ومراودتها له. فما أعظم فضل العفاف! لقد حوَّل السَّيدة إلى أَمَةٍ لِلْعَبْدِ. إنَّ سَهْمَ الزِّنَى لم يصادف المادة المحرقة في النفس، فانطفأ وخمد في الثياب. لم يغفل الرُّوح المستيقظ عن التضليل الموجَّه إليه ولم يُصغِ العقل للفتنة القويَّة المغررة به. إنَّ المغري على الزِّنَى كان واقفًا بالمرصاد يجذب الرِّداء مع الزَّانية شاعرًا بحيلتها، وغيرَ عالمٍ أنَّهُ داخلٌ في العراك مع فتىً ماهرٍ مُدرَّبٍ عفيفٍ قادرٍ على التخلُّص من السُّقوطِ في شَرَكِ المكر والدَّهاءِ. الكتاب المقدس يقول: «وترك رداءه بيدها هاربًا منها إلى الخارج». ماذا كانت نتيجة هذا الفجور المصريّ؟ إنَّها ترمي الذَّنب على **يوسف** إذْ أسرعت إلى زوجها قائلةً: «كيف جئتنا برجل عبراني ليتلاعب بنا وكان عندما رفعت صوتي وصرخت أنه ترك رداءه بجانبي وهرب خارجًا» (تكوين ٣٩:١٣-١٥). هنا أيضًا يُفترى على **يوسف العفيف** بالرِّداءِ. نعم أيُّها الأخوة إنَّ الجرم ثبتَ في بادىء الأمر على **يوسف** بسبب الرِّداءِ لأنَّ المرأة اتهمتهُ بالزِّنَا حينما أخذت الرِّداءَ بيدها. وهنا يصحُّ أنْ نتذكَّر كلام السيد المسيح: «وعلى لباسي يقترعون» (مز ٢١:١٩). إنَّ الله العالِم بكُلِّ شيء لم يمجِّد **البطريرك يوسف** قبل التجربة، لكنَّه أراه المستقبل في الحلم مُعلنًا له أنَّهُ يُهيئ المجد للمتَّقين. لقد سمحَ بتعريضِهِ للتجربة ليَسُدَّ أفواه لائميهِ. فلو لم تظهر فضيلة العفاف في يوسف لقال اللائمون أنَّ الحادثة هي عمل الصُّدفة العمياء. فلكي يتلافى الله هذه الأحاديث عن البَّار سمحَ بوقوعه في التجربة حتى تكون شهادة له وردعًا للمفترين.

إذنْ لِنَكْرِهِ الأساليب التي تُحبِّب إلينا الزِّنَا ولنبتعد عنها ولنغمِّض عيوننا عن ملذاته وفتنه وليكُن العفاف حارسًا لأجسادنا، ولتسدّ الطهارة أعضاءنا حتى تكون أجسادنا مسكنًا **للرُّوح القُدُس**، ولنكتب على صفحات القلب الحُكم المعلِن مصير الخطأة الرهيب: «إنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ» (١كور ٣:١٧).

الإصحاح الثالث

العظة الثامنة (١كو٣: ١-١١)

«وَأَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ، بَلْ كَجَسَدِيِّينَ كَأَطْفَالٍ فِي الْمَسِيحِ، سَقَيْتُكُمْ لَبَنًا لاَ طَعَامًا، لأَنَّكُمْ لَمْ تَكُونُوا بَعْدُ تَسْتَطِيعُونَ، بَلِ الآنَ أَيْضًا لاَ تَسْتَطِيعُونَ» (١كو٣: ١-٢).

١ – بعدما أدانَ حِكمة العالَم، وأبطَلَ الدَّعوة إلى الافتخارِ بها، أَتى إلى موضوعٍ آخرَ: خاصَّةً وأنَّهُ كان من الطبيعي أن يُدافع أهل كورنثوس عن موقفهم، قائلين: إنْ كُنَّا نُنادي **بفلسفة أفلاطون أو فيثاغورس**، أو أيًّا من الفلاسفة الآخرين، فمن المنطق (يا بولس) أنْ تُوَجِّه لنا حديثًا طويلًا، لكن طالما أنَّنا نعترفُ بعمل الرُّوح القُدُس، فَلِأَيِّ سببٍ تُشيرُ إلى الحكمة الانسانيَّة بصفةٍ دائمة؟. إسمع كيف يُفكِّر من جهة هذا الموضوع، يقول القديس بولس: **«وَأَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ» (١كو٣: ١)**. بمعنى أنَّهُ لو قَالَ: إنَّكم حقًّا أُناسٌ كاملين في الرُّوح، فما كان ينبغي أن تفتخروا أبدًا، لأنَّكم لم تُنادوا بحكمتكم الخاصَّة، ولا بتلك التي ورثتموها، بل حتى هذه لا تعرفونها الآن كما ينبغي، بل أنتم مجرَّد تلاميذ وتأتون آخر الكُلِّ في هذا المجال. حتى أنَّكم وإنْ كنتم تفتخرون بالحكمة الإنسانيَّة، فإنَّكم تُبرهنون على أنَّها هي والعدم سواء، بل هي بالنسبةِ لنا إفسادٌ للروحانيَّات. لكن إنْ افتخرتم بالرُّوحانيَّات أيضًا، فأنتم تَحُوذون على القليلِ منها، وستكونون آخر الجميع. ومن أجلِ هذا قال: **«لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ»**.

لم يَقُل: «**لم أُخاطبُكم**»، حتى لا يبدو أنَّ الأمرَ يأتي من الحَسَدِ، لكنَّهُ يُبطِل افتخارهم بطريقتين:

الأولى: بأنْ يُبرهن لهم بأنَّهم لم يختبروا الكمال.

والثانية: هي أنَّهم هُم أنفسهم السَّبب في هذا الجهل، بل وبَرْهَنَ لهم أيضًا على أنَّهُ ولا حتى الآن يُمكنهم أن يعرفوا (أي يختبروا) الكمال. بمعنى أنَّهُ من حيثُ أنَّهم لم يستطيعوا (أن يختبروا الكمال الرُّوحيّ)، ربما كان هذا راجعًا إلى طبيعة الأمور آنذاك. إلَّا أنَّهُ لم يقبل دفاعهم ولا حتى لأجل هذا السبب. لأنَّهُ يُقرُّ بأنَّهم لم يقبلوا الأمور السامية، لا لأنَّهم لم يستطيعوا أنْ يقبلوها، بل لأنَّهم لم يكونوا ناضجين في الرُّوح. إلَّا أنَّ هذا الأمر لم يَكُن يستحقّ الإدانة منذُ البداية، أمَّا وقد عَبَرَت سنواتٌ طِوال، ولم يَصِلوا بعد إلى الحياة الكاملة، فهذا ناتجٌ عن أسوأ أنواع الكَسَل والخمول. ولذلك فقد أدانَ العبرانيين أيضًا، ولكن ليسَ بهذا القَدرِ من القَسوةِ والشِّدة، لأنَّهُ يقول: إنَّهم كانوا هكذا (جسديِّين)، بسبب الضغوط والآلام، أمَّا هؤلاء (الكورنثيُّون) فهم (جسديُّون)، بسبب الرغبة في فعل الشَّر، وهذا الأمر ليسَ مثل ذلك. وقد تبرهَنَ على أنَّهُ قد أرادَ أنْ يُوَبِّخَ العبرانيين، أمَّا بالنسبة إلى (أهل كورنثوس)، فقد أرادَ أنْ يوقظهم، فتكلَّمَ بهذه الطريقة عن حَقٍّ. لأنَّهُ يقول لهم: «**بَلِ الآنَ أَيْضًا لاَ تَسْتَطِيعُونَ**»، أمَّا للعبرانيين فقال:

«لِذلِكَ وَنَحْنُ تَارِكُونَ كَلاَمَ بَدَاءَةِ الْمَسِيحِ، لِنَتَقَدَّمْ إِلَى الْكَمَالِ»، وأيضًا يقول: «وَلكِنَّنَا قَدْ تَيَقَّنَّا مِنْ جِهَتِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، أُمُورًا أَفْضَلَ، وَمُخْتَصَّةً بِالْخَلاَصِ، وَإِنْ كُنَّا نَتَكَلَّمُ هكَذَا.» (موبخين) (عب ٩: ١، ٩).

وكيف يدعو أولئكَ الذين نالوا كُلَّ هذه النِعَم الرُّوحيَّة، والذين نالوا منه كُلّ هذا المديح الكثير في بداية الرسالة، **بالجسديِّين**؟ لأنَّ اليهودَ أيضًا كانوا جسديِّين، وقد قالَ لهم الرَّبّ: «إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ» (متى ٧: ٢٣)، بالرغمِ من أنَّهم قد أخرجوا **شياطين**، وأقاموا موتى، وتَنَبَّأُوا. هكذا يُصبح من الممكن لشخصٍ صنع معجزات، أن يكونَ جسديًّا. هذا ما حدثَ مع **بلعام**، ومع **فرعون**، ومع **نبوخذنَصَّر**، حيث كشفَ لهم الله عن الأمور المستقبليَّة، وقد تَنَبَّأَ **قيافا** دون أن يدري ما يقوله، بل والبعض الآخر أخرجوا **شياطين**، ودَعوا باسم الرَّبّ دونَ أنْ يكونوا من اتباعه. ولأنَّ المُعجزات، لم تحدث لسَبَبٍ يرجع لهؤلاءِ الذين فعلوها، بل لأجلِ

آخرين، فَمِنَ الممكن في مرَّاتٍ كثيرة أنْ تحدث هذه المعجزات من خلال أشخاص غير مُستحقِّين.

ولماذا تندهش لو أنَّ هذه المعجزات تحدث من خلالِ رجالٍ غير مستحقين، لأجلِ آخرين، وهي ـ كما هو معروفٌ ـ تحدث بواسطة القدِّيسين؟ كذلك يقول الرسول بولس: «فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَكُمْ: أَبُولُسُ، أَمْ أَبُلُّوسُ، أَمْ صَفَا، أَمِ الْعَالَمُ، أَمِ الْحَيَاةُ، أَمِ الْمَوْتُ» (١كور ٣:٢٢)، «وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلًا، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ،لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ» (أف ٤:١١-١٢). لأنَّهُ إنْ لم يحدث هذا، فإنَّهُ لا شيء يمنع هلاك الجميع. فقد يحدث أنْ يكون الوُلاة أشرارًا ودَنسين، ويكون المحكومون، ودعاء ولُطفاء، ويعيش الشعب في تقوى، بينما الكهنة يسلكون بِخُبثٍ، فإن كانت النعمة تبحث فقط عن المستحقِّين، فإنَّهُ لا معنى لوجود المعموديَّة، ولا لجسد المسيح، ولا تَقدُمات تُقدَّم من خلال هؤلاء الذين يسلكون في طريقِ الشَّر، لكن الله اعتادَ أن يعمل من خلال **غير المستحقين**، ولن تُضار نعمة المعموديَّة على الإطلاق، بسبب طريقة حياة الكاهن، وإلَّا قد يُصَاب مَن نال النعمة بأذًى، وإنْ كانَ مِنَ النادر أنْ يحدث هذا، لكنه قد يحدث. أقولُ هذا الكلام، حتى لا يتعثَّر أحدٌ منكم ـ أنتم يا مَنْ توجَدون الآن هنا ـ بسبب هذه الأمور التي تحدث، وذلك إنْ أمعنا النَّظر ودَقَّقنا في حياة الكاهن. لأنَّ الإنسان لا يتدَخَّل في الأسرار، بل إنَّ كُلّ شيء مُرتبط بعمل الله، والله هو الذي يقودنا إلى الأسرار.

يقول:

«وَأَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ، بَلْ كَجَسَدِيِّينَ كَأَطْفَالٍ فِي الْمَسِيحِ، سَقَيْتُكُمْ لَبَنًا لاَ طَعَامًا، لأَنَّكُمْ لَمْ تَكُونُوا بَعْدُ تَسْتَطِيعُونَ، بَلِ الآنَ أَيْضًا لاَ تَسْتَطِيعُونَ» (١كور٣:١-٢). ولكي لا يبدو أنَّ ما قالَهُ، راجعٌ لمحبَّة المجد الباطل، حين قال: «إِنَّ الإِنْسَانَ الرُّوحِيُّ يَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ لاَ يُحْكَمُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ. وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ.» (١كور ٢:١٥-١٦). ولكي يُبطل افتخارهم، لاحظ ماذا قال: إنَّني لم أصمت، لكنني لم أستطع أنْ أقول لكم شيء آخر غير ذلك، لأنَّكم لازلتُم بعد جسديِّين. ثمَّ أضافَ: **«بَلِ الآنَ أَيْضًا لاَ تَسْتَطِيعُونَ»**.

٢ – ولماذا لم يَقُل: «**لم تُريدوا**» بل قال: «**لاَ تَسْتَطِيعُونَ**»؟. يرجع ذلك إلى أنَّ عبارة «**لاَ تَسْتَطِيعُونَ**». تحمل معنى أنَّهم لم يُريدوا، الأمر الذي يحمل إدانة لهؤلاء، واعتذارًا للمعلِّم: بمعنى لو أنَّهم **لم يستطيعوا** بحسب طبيعتهم، ربما كان هذا مدعاةً لأنْ يُسامحهم المرء، لكنهم لأنَّهم لم يستطيعوا برغبتهم وكامل إرادتهم، فليس لهم ما يُدافعون به عن أنفسهم. بعد ذلك يذكُر لهم الأداة التي جعلتهم جسديِّين.

يقول:

«لأَنَّكُمْ بَعْدُ جَسَدِيُّونَ. فَإِنَّهُ إِذْ فِيكُمْ حَسَدٌ وَخِصَامٌ وَانْشِقَاقٌ، أَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ وَتَسْلُكُونَ بِحَسَبِ الْبَشَرِ؟» (١كور٣:٣).

وبينما كان بإمكانه أنْ يتَّهمهم بالزِّنا والفسق، إلَّا أنَّهُ رَكَّزَ بالأكثر على تلك الخطيَّة والتي أرادَ أنْ يحرِّرهم منها. لكن إنْ كان **الحسد** يجعل الناس جسديِّين، إذًا فهذا وقتٌ لكي ننوح كثيرًا، وأنْ نلبس المسوح، ونفترش الرَّماد. لأنَّه مَنْ مِنَ الناس، يستطيع القول بأنَّهُ متحرِّرٌ من هذا الدَّاء (**الحسد؟** إلَّا إذا كانَ ظَنِّي في الآخرينَ نابعًا من داخلي. فإنْ كان **الحسد** يجعل الناس جسديِّين، ولا يتركهم ليكونوا روحانيِّين، بالرَّغم من أنَّهم يتنبأون ويصنعون عجائب، فكيف لنا أن نثبُت، عندما يسود علينا ليس فقط هذا الدَّاء (**الحسد**)، بل وأمراض أُخرى أكبر من ذلك بكثير، إنْ لم تسندنا النعمة الإلهيَّة وتُقويِّنا إلى هذا الحدِّ الكبير؟

من هنا نستطيع أن نُدرك ما قاله **المسيح** بحقّ: «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ» (يوحنا ٣:٢٠). إنَّ الحياة الدَّنسة تُمثِّل عائقًا أمام العقائد السَّامية، لأنَّها لا تترك مجالًا لكي تُظهر القوَّة الكبيرة لبصيرة الذهن. مثلما أنَّه من غير الممكن على الإطلاق لشخصٍ مُقيم في الخِداع، أنْ يحيا باستقامةٍ، هكذا فإنَّه ليس من السهل لشخصٍ يحيا في الشَّر، أنْ يتحوَّل فجأةً إلى عقائدنا السَّامية، لكن ذاك الذي يأتي لكي يبحث عن الحقيقة، يجب عليه أولًا أنْ يَتَنَقَّى من كُلِّ الشهوات، لأنَّ الذي تنقَّى منْ هذه الشهوات ، سيتحرَّر منَ **الخداع والحسد** وسيعثر على الحقيقة. لا تعتقد أنَّهُ لكي تعثر على الحقيقة، يكفيكَ أنْ تكون غير طَمَّاع وأنَّكَ لا تزني، لكن ينبغي لذاك الذي يسعى نحو الحقيقة، أنْ يقتني كُلّ الفضائل الأُخرى. ولذلك يقول القديس بطرس: «أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ. بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ.» (أع ١٠:٣٤-٣٥). أي أنَّهُ يدعو ويجذب مَنْ يتَّقيه ويصنع البِرّ ويسعَى نحو الحقيقة.

أَلم ترَ كيف أنَّ بولَس كان هو ذاك المُحارِب والمُضطهد المُخيف للجميع؟ لكن لأنَّه عاشَ حياة بلا لوم (**يقصد حياة ناموسيَّة بلا لوم**) ولم يفعل هذه الأمور بدافعٍ مِنَ الشهوة الإنسانيَّة، فقد صارَ مقبولًا (من الله)، وفَاقَ الجميع. ولَو قالَ أحدٌ كيف أنَّ شخصًا ما، رغم أنَّه وثني، إلَّا أنَّهُ يبدو فاضلًا وصالحًا ومُحِبًّا للناسِ، بالرغمِ من أنَّهُ يعيشُ في الخداع؟

سنقول له الآتي: هذا الشخص في الحقيقة يخدع نفسه، وهذا راجع إلى أنَّهُ كان يسعى نحو شهوةٍ أُخرى، ويحيا في زهوٍ وغرور، أو يحمل نفسًا خاملة. ويعيش في لامبالاة بالنسبةِ لخلاصه، ويعتقد أنَّ كُلّ شيء سيأتيه حسنًا بالمصادفة. أمَّا بولس فمن حيثُ البرّ الذي في الناموس فقد كان بلا لوم، هكذا يقول: «مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلاَ لَوْمٍ.» (فيلبي ٣:٦). وأيضًا: «أَشْكُرُ اللهَ الَّذِي أَعْبُدُهُ مِنْ أَجْدَادِي بِضَمِيرٍ طَاهِرٍ» (٢ تيمو ١:٣). إذًا قد يقول البعض، كيف استحقَّ أناسٌ دَنِسُون، أنْ يكرزوا باسم الرَّبِّ؟ حدث هذا لأنَّهم أرادوا ورغبوا. أي أنَّ الله جذبَ المتحرِّرين من الشَّهوات، رغم أنَّهم كانوا يحيون في خداع، لكن أولئك الذين قبلوا الإيمان بمبادرة خاصَّة منهم فلم يردّهم، وفي النهاية يمكن أن نقول إنَّ كثيرين قد قبلوا التقوى وراثيًّا من أجدادهم.

يقول:

«إِذْ فِيكُمْ حَسَدٌ وَخِصَامٌ»، ثمَّ تبع ذلك بالتعبير عن انشغاله بالرَّعيَّة، لأنَّه تغلَّبَ قبلًا على الوُلاة، بأنْ قال: إنَّ حكمة العقل ليس لها أيّ قيمة، هنا يوبِّخ الرَّعيَّة.

قائلًا: «لأَنَّهُ مَتَى قَالَ وَاحِدٌ: «أَنَا لِبُولُسَ» وَآخَرُ: «أَنَا لأَبُلُّوسَ» أَفَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ؟» (١كو ٣:٤).

هنا يُبرهن على أنَّ هذا المسلك ليس فقط لن ينفعهم على الإطلاق، ولن يجعلهم يربحون أيّ شيء، بل واعاقهم عن أن ينتفعوا بالأمورِ السَّامية، لأنَّ هذا الانقسام، أدَّى إلى ظهور **الحسد**، وهذا **الحسد** جعلهم جسديِّين، ولأنَّهم صاروا جسديِّين، فقد منعهم هذا من الاستماعِ للكلام الخاصّ بالأمور السَّامية.

«فَمَنْ هُوَ بُولُسُ؟ وَمَنْ هُوَ أَبُلُّوسُ؟ بَلْ خَادِمَانِ آمَنْتُمْ بِوَاسِطَتِهِمَا، وَكَمَا أَعْطَى الرَّبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ» (١كو ٣:٥).

أيّ أنَّهُ بعد استقرار الأمور وإصلاحها، بدأ بعد ذلك في صياغة وطرح الاتهام بصورةٍ أوضح. ثمَّ يذكر اسمه، لكي ينزع كُلّ المشاعر المُتَقَسِّية، ولم يسمح أنْ يُقابلوا ما قاله بخشونة وغضب. لأنَّهُ إنْ كان وضع بولس ومكانته ليست بالقدر المهم، وليس له أنْ يغضب لأجل هذا (الانشقاق)، فبالأكثر من ذلك بكثير، لم يكن لأولئك أنْ يغضبوا. إذًا فقد دَعَمَهُم بطريقتين.

أ) – بأن ذَكَرَ اسمه.

ب) – أيضًا لم يَشَأ أنْ يحرمهم من كُلِّ شيء، بل منحهم قدرًا يسيرًا من الخيرات، على الرغمِ مِنْ أنَّهم لم يُحقِّقوا أيَّ شيء. لأنَّهُ بعدما قال: «فَمَنْ هُوَ بُولُسُ؟ وَمَنْ هُوَ أَبُلُّوسُ؟» أضاف: «بَلْ خَادِمَانِ آمَنْتُمْ بِوَاسِطَتِهِمَا». وهذا بحدِّ ذاته عملٌ عظيم ويستحقّ مجازاةً كبيرةً، لكنه يُعتبر لا شيء إذا ما قورن بأصلِ الخيرات. لأنَّ المُحسِنَ ليسَ هو مصدر الخيرات، بل هو ذاك الذي يُقدِّم الخيرات. ولم يَقُل «مُبَشِّران»، بل قال: «خادمان»، الأمر الذي يُعَدُّ أكثر من مجرَّد التبشير. أنَّهما لم يكتفيا بالبشارة، بل خدمونا، لأنَّ البشارة محصورة في خدمة الكلمة، بينما الخدمة هي عمل. فلو كان المسيح مجرَّد خادم للخيرات، وليس هو جذر ومصدر الخيرات، خاصَّةً وأنَّهُ ابنٌ، فإنَّ هذا بحدِّ ذاته سيقودنا إلى الانحراف عن الفكر المستقيم.

(يتبع في العدد القادم)

من أقوال القديس پورفيريوس الرَّائي عن المرض

– لا يوجد مرضٌ نفسيّ إلَّا عند غير التَّائِبِ. لأنَّ النّفس تمرض من الخطايا المرتكبة من دون توبة.

– إذا مرضنا يجب أنْ نتبع تعليمات الطِّب والمنطق. ولكن فوق كُلِّ شيء يجب أنْ نسير بحسب مشيئة الله واضعين كُلَّ ثقتنا بحبِّهِ.

– سأله أحدهم مرَّةً لماذا لا يتناول الكثير من الأدوية رغم صحته المعتلَّة. فأجابه: «عندما يسلِّم المسيحيّ نفسه بالكليَّة لربِّهِ وإلهِهِ، واضعًا كُلَّ ثقتِهِ فيه، يعطيه الرَّبُّ الإله السَّلام الداخلي في جسده وبالنتيجة تتحرَّك كُلَّ الأعضاء والغُدَد بشكلٍ طبيعيّ فنحصل على الصِّحة. لأنَّ **الخطيئة والقلق والأنانيَّة** أحيانًا تزيد أو تُبطِئ حركة هذه الأعضاء الطبيعيَّة وبالتالي يمرض المرءُ.

– جاءت مرَّة سيّدة لتعترف عند الشيخ پورفيريوس. فنظر إليها بعينيه الرُّوحيَّتين فرأى أنَّها مريضة بمرض السَّرطان. فسألها ما إذا كانت تشعر بشيء. فأجابته أنَّها تشعر بألمٍ ولكنَّها تخجل من البوح به. فأرسلها إلى طبيب في المستشفى ليفحصها. على الأثر شخَّص مرضها بأنَّهُ سرطان في صدرها. طلب منها إجراء بعض الفحوصات لكي يُجري لها عمليَّة بعد ثلاثة أيام. ذهبت السَّيدة إلى الشيخ پورفيريوس وَسَجَدَا سَوِيَّةً وَصَلَّيَا قلبيًّا صلاة يسوع. ثم نهض الشيخ ورسم عليها إشارة الصَّليب، وقال لها أنْ تفعل كُلَّ ما يطلبه الأطباء. بعد ثلاثة أيام ذهبت إلى المستشفى لإجراء العمليَّة، فاستبان أنَّها شفيت تمامًا. فترك الطبيب المعاين المستشفى مُسرعًا ونزل إلى الشيخ وقال له: « **ماذا فعلتَ لهذه السَّيِّدة أيُّها الكاهن حتّى شفيتها؟ لأنّي لو لم ألمس بيدي الورم السَّرطاني لما صدقت العجيبة!**». نعمة الله تعمل فينا على قدر إيماننا لخلاصنا. يجب أنْ يُؤمن المرء أنَّ المعجزات تحصل اليوم أيضًا. لأنَّ المسيح هو هو أمس، اليوم وغدًا.

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح
كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122